بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات (٥)

من سورة الرعد – إلى سورة الكهف

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

ملخص المقدمة

بني ومضات في فهم الآيات على ثمانية عشر من الأسس والمرتكزات المستمدة من القرآن العزيز وسُنّة الرسول ﷺ، لتكون أساسًا ومرتكزًا لفهم القرآن العزيز، والتمسك به، وإقامته في النفس، ودعوة النّاس له، تمهيدًا لإقامته في الأرض، ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس، ولمنع عقوباته تعالى عنهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾ وبيّن الله تعالى أنّ كل إنسان مسؤولًا مسؤولية تامة عن كل ما يصيبه من شُؤم بسبب عمله في قوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا}﴿١٣﴾ وبيّن تعالى طريق السعادة في الدنيا والآخرة باتباع هديه وأنّ الشقاء فيهما بالإعراض عن دينه في قوله تعالى في سورة طه حيث قال:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهذه الأسس والمرتكزات كما يلي: –

المرتكز الأوّل: الإيمان بالغيب

المرتكز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض وما فيهما.

المرتكز الثالث: الله الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثمّ هدى.

المرتكز الرابع: لله تعالى الخَلْق والأمر، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته.

المرتكز الخامس: اختيار الرسل ومنحهم المعجزات وتعليمهم

المرتكز السادس: الأديان.

المرتكز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

المرتكز الثامن: أمّة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.

المرتكز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصرته.

المرتكز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

المرتكز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

المرتكز الثاني عشر: التقوى والإحسان مفاتيح الخير كُله.

المرتكز الثالث عشر: الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين.

المرتكز الرابع عشر: النسب الإيماني هو نسب المؤمنين.

المرتكز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأول من هذه الأمّة.

المرتكز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.

المرتكز السابع عشر: وجوب دعوة النّاس للدين.

المرتكز الثامن عشر: أنّ الله تعالى مظهر الإسلام على كلِّ دين.

فؤاد محمود آل محمود

المحتوى

العنوان **الصفحة**

ومضات في فهم الآيات (٥) ١

ملخص المقدمة ٢

سورة الرعد (١٣) آياتها (٤٣) ٨

(١-٧) يقسم تعالى بأن القرآن هو الحق، ويُبيِّن بعض آياته، ويستنكر كفر الكافرين. ٨

(٨-١٦) بيان شيءٍ من سعة علمه تعالى، وبعض آياته وقدرته وسننه، ومحاجة الكافرين، وتأكيد عجز كل ما يُعبد من دونه تعالى. ١٣

(١٧-٢٩) ضرب المثل للحق والباطل، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين وبعض صفاتهم، وسننه تعالى التي يمضيها فيهم. ١٨

(٣٠-٣٥) بيان الغاية من بِعثته ﷺ، والرد على حجج الكافرين، وبيان سننه تعالى في المعاندين والمؤمنين. ٢٢

(٣٦-٤٣) تأكيد استبشار مؤمني أهل الكتاب بما أُنزِل عليه ﷺ، ونكران بعضهم، وبيان سننه تعالى فيهم، والرد على حُجَجِهم. ٢٧

سورة إبراهيم ترتيبها (١٤) وآياتها (٥٢) ٣٢

(١-١٢) القسم بأنّ القرآن هدًى للناس، وتوعد من كفر، وضرب المثل بموسى (ع‌س) والإشارة إلى سننه تعالى في الأمم، والأمر بالتوكل عليه. ٣٢

(١٣-٢٣) الإشارة إلى توعد الكفار للرُّسُل وجزائهم، وحوار المستضعفين لأسيادهم، وتبرؤ الشيطان منهم، ودخول المؤمنين الجنان. ٣٧

(٢٤-٣٤) ضرب المثل للكلمة الطيبة والخبيثة، واستنكاره تعالى تبديل نِعَمه كفرًا، وأمر بطاعته، وأكّد خلقه لكل شيء، وبيّن نِعَمهُ وفَضلِه. ٤١

(٣٥-٥٢) التذكير بدعوة إبراهيم (ع‌س) وتأكيد أنّه تعالى ليس بغافل عمّا يعمل الظالمون، وبيان الحكمة من إمهالهم، والتحذير من يوم الحساب. ٤٦

سورة الحجر ٥١

(١-٢٧) القسم بآيات الكتاب والقرآن، والردّ على جدل الكفّار، والإشارة إلى إبداع خلقه ونِعمه، وتأكيد حشر الناس وحسابهم، وأنّ الجان خلق قبل الإنسان. ٥١

(٢٨-٥٠) التذكير بعداء إبليس لآدم (ع‌س) وذريته، وتعهده بإضلالهم، وإمهاله ليوم الدين، وتأكيد أنّه تعالى الغفور الرحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم. ٥٦

(٥١-٧٧) الإشارة إلى حوار إبراهيم (ع‌س) مع الملائكة المرسلون، وتبشيره بإسحاق (ع‌س) وتَوَعُّدِهم بإهلاك قوم لوط (ع‌س) وامرأته. ٦٠

(٧٨-٩٩) ضرب المثل لسننه تعالى في بعض الأمم المعرضة كأصحاب الأيكة والحِجر، والأمر بالالتزام بالوصايا السبع وبالقرآن العظيم. ٦٤

سورة النحل ترتيبها (١٦) آياتها (١٢٨) ٦٩

(١-١٨) تأكيد قيام الساعة، وتفصيل بعض آياته تعالى في تدبيره الكون لمصالح الناس، والاستنكار على شرك المشركين ودحض مزاعمهم. ٦٩

(١٩-٣٢) التحذير بإحاطة علمه تعالى، ومن عواقب الشرك، وبيان جزاء المشركين والمتقين. ٧٤
(٣٣-٤٢) تَوَعُّد المعرضين عن هدي الله تعالى، وأبطال حججهم، وبيان عقوبتهم، والإشادة بثبات المهاجرين وبيان جزائهم. ٧٨
(٤٣-٥٩) بيان صفات الرسل والغاية من التنزيل، والتحذير من سننه تعالى، وبيان بعض آياته، والاستنكار على تشريعات الكافرين. ٨٢
(٦٠-٧٠) المفاضلة بين الذين لا يؤمنون بالآخرة والمؤمنون بها، وبيان حِلمُه تعالى، وبعض نِعمه، وذكّر تعالى بطورٍ من أطوار النّاس. ٨٦
(٧١-٨٣) الاستنكار على اتخاذ الشركاء، وضرب الأمثال لعظيم قدرته وعجز آلهتهم، وتأكيد استكبار المنكرين. ٩٠
(٨٤-٩٧) التحذير من يوم البعث، وخذلان آلهة المشركين لهم، وبيان عقوبتهم، والحضّ على التمسك بشرعه تعالى وهديه. ٩٥
(٩٨-١١٣) الحضّ عند قراءة القرآن بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وتأكيد سلطانه على أوليائه، وإقرار هجرة المتخلفين، وضرب المثل لمن كفر من مكّة. ١٠٠
(١١٤-١٢٨) بيان الحكم في الأطعمة، والتحذير من الكذب على الله، وتزكية إبراهيم(ع‌س) والأمر بدعوة الناس، والحُكم بينهم بالعدل، والتزام الصبر. ١٠٥
سورة الإسراء ترتيبها (١٧) آياتها (١١١) ١١٠
(١-١١) تأكيد الإسراء بالرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى، وإيتاء موسى (ع‌س) التوراة، وبيان قضائه تعالى لبني إسرائيل، وتأكيد أنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم. ١١٠
(١٢-٢٧) الإشارة إلى خلق الليل والنهار، وأنّ الأنسان مسؤول مسؤولية تامة عمّا يصيبه من شر، والإشارة إلى الحِكَم الإلهية العامة للنجاة في الدارين. ١١٥
(٢٨-٤٤) بيان تتمة الحِكَم الإلهية للفوز في الدارين، والاستنكار على مزاعم الكافرين ودحض حججهم. ١٢٠
(٤٥-٥٧) بيان موجبات السنن في الكافرين، والأمر بقول التي أحسن، وتأكيد المفاضلة بين النبيين، وعجز آلهة المشركين، والإشادة بإخلاص الصالحين. ١٢٤
(٥٨-٧٠) الإشارة إلى سننه تعالى في القرى، وضرب الأمثال لحجب المعجزات، وجحود المعرضين، والتحذير من سننه تعالى، والإشارة إلى إكرام بني آدم. ١٢٨
(٧١-٨٤) التحذير من يوم القيامة، والتذكير بسننه في الأمم، والأمر بلزوم الصلاة والدعاء، وتأكيد أنّ من القرآن شفاء، والإشارة إلى تعنت المعرضين. ١٣٣
(٨٥-٩٨) الإشارة إلى الإعجاز في خلقه تعالى وقرآنه، ودحض حجج الكافرين، وبيان سننه تعالى في هداية المؤمنين وإضلال الكافرين. ١٣٧
(٩٩-١١١) الإشارة إلى مطلق قدرته تعالى وجوده، وحوار موسى (ع‌س) لفرعون وعقوبة تكذيبه، والبشارة بإيمان أولي العلم، وتنزيه ذاته العلية. ١٤٢
سورة الكهف ترتيبها (١٨) آياتها (١١٠) ١٤٧
(١-١٦) بيان الغاية من تنزيل القرآن، والإشارة إلى حرصه ﷺ على هداية قومه، والتحذير من قيام الساعة، والإشارة إلى مختصر قصّة أصحاب الكهف. ١٤٧

(١٧-٢٧) رعايته تعالى للفتية في الكهف، والحوار الذي دار بينهم، ومدّة مكثهم في الكهف، والأمر بتلاوة القرآن على الناس. ١٥١
(٢٨-٣١) الأمر بالصبر وملازمة المؤمنين، والإعراض عن رغبات المترفين، والتحذير من عقوبتهم، وبيان جزاء المؤمنين. ١٥٦
(٣٢-٤٤) ضرب المثل لعقوبة الجحود في الحياة الدنيا، والإشارة إلى فضل الولاية لله تعالى. ١٦٠
(٤٥-٥٦) ضرب المثل لزينة الحياة الدنيا، وتخصيص المال والبنون، وتأكيد فضل الباقيات الصالحات، واستنكار الكفر والإشراك وفَضحِ السلوك. ١٦٣
(٥٧-٧٠) الإشارة إلى أعظم الظلم وعقوبته، وإمهال الظالمين، وعزم موسى (ع‌س) على ملاقاة الخِضر للتعلم منه. ١٦٨
(٧١-٨٢) إثبات الخضر لموسى (ع‌س) أنّه لا يستطيع الصبر على ما لم يحط به خبرًا، وبيانه الحِكمة من مجريات تلك الأمور، وتأكيد أنّها إلهامًا منه تعالى. ١٧٢
(٨٣-١٠١) بيان خبر ذو القرنين، والإشارة إلى انهيار سد يأجوج ومأجوج، وأشاعتهم القتل في النّاس، والتحذير من العرض الأكبر يوم القيامة. ١٧٦
(١٠٢-١١٠) تحذير المشركين، وبيان الأخسرين ومنازل المتقين، والإشارة إلى سعة عِلمه تعالى ومُلكه، وبيان سبيل السلام للفوز في الدارين. ١٨١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الرعد (١٣) آياتها (٤٣)

(١-٧) يقسم تعالى بأن القرآن هو الحق، ويُبيّن بعض آياته، ويستنكر كفر الكافرين.

الٓمٓرٓۚ تِلۡكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِىَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّه الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِى أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

يقسم تعالى بأربعة حروف من اللغة العربية، لما للحروف من أهمية ضرورية في كتابة علوم الدين خصوصًا والعلوم عمومًا قائلًا:{ الٓمٓرٰۚ} وجواب القسم الأوَّل{ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} نبيّنها لكم، وجواب القسم الثاني{ وَالَّذِىَ أُنزِلَ} وأوحي{ إِلَيْكَ} وإليكم{ مِن رَّبِّكَ} ومن ربكم هو{ الْحَقُّ} الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومِمَن خلق الأرض والسماوات العُلى{ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} يأنفون وينكرون و{ لاَ يُؤْمِنُونَ} ولا يصدقون.

ثمّ بدأ تعالى بعرض بعض آيات الكتاب ومعجزاته تعالى متحديًا الإنس والجن أن يأتوا بمثلها، وأوّل هذه الآيات الدالة على عظيم خلقه وابداعه تعالى{ اللَّه الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ} عن الأرض، وجعل النجوم والكواكب والمجرات مرفوعة عن بعضها{ بِغَيْرِ عَمَدٍ} ظاهر{ تَرَوْنَهَا} بأعينكم، وله تعالى القدرة على خلق مثلها لقوله تعالى في سورة يس:{ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ}﴿٨١﴾ ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ودان وخضع له كل شيء، فلا يكون شيئًا فيهما إلّا بإذنه ومشيئته وأمره، فله الخلق والأمر.

ثمّ بيّن تعالى آيته الثانية فقال:{ وَسَخَّرَ} لكم ولمصلحتكم{ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ} منهما{ يَجْرِى} في فَلَكِه{ لأَجَلٍ مُّسَمًّى} معلومٌ عنده تعالى، ثم ينكمش هذا الكون مرة أخرى فَجأةً بعد اكتمال اتساعه، إيذانًا بيوم القيامة والجزاء والحساب، لقوله تعالى في سورة فاطر:{ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا}﴿٤١﴾.

ثمّ أكّد تعالى الآية الثالثة فقال:{ يُدَبِّرُ الأَمْرَ} لكل ما في السماوات والأرض{ يُفَصِّلُ} ويُبيِّن ويَشرَح{ ٱلۡأٓيَٰتِ} والأدلة والبراهين على عظيم قدرته وأُلُوهِيته وَوِحدانيته{ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ} يوم القيامة تؤمنون و{ تُوقِنُونَ} وتتيقنون، وقال تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون لأنّ من الناس كافر.

ثمّ تحدث تعالى عن آيته الرابعة فقال:{ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ} وبسط ووسع{ الأَرْضَ} وزاد في خلقها على بقية الكواكب، لتمشوا في مناكبها وتَعمُرُوها، وقال عن آيته الخامسة:{ وَجَعَلَ فِيهَا} جبالًا{ رَوَاسِىَ} لئلا تميد ولا تضطرب، رغم أنّها تمر مرّ السحاب، ثمّ أشار تعالى للآية السادسة فقال:{ وَأَنْهَاراً} أي وجعل فيها أنهارًا كثيرة، ثمّ قال تعالى عن لآية السابعة:{ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ} وأنبت{ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} لتأكلوا من ثمره، والآية الثّامنة{

يُغْشِى} ويُغطي{ اللَّيْلَ النَّهَارَ} فالنهار ليس إلّا طبقة رقيقة بالنسبة لقطر الأرض لا يزيد ارتفاعه عن أربعمائة وثمانين (٤٨٠) كيلوا متر، وقد شبَّهَهُ تعالى بسلخ شاة، كما قال تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}﴿٣٧﴾ فـ{ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَٰتٍ} أي الثمان لدلائل وبراهين على عظيم خلقه وقدرته ووحدانيته وألوهيته{ لِّقَوْمٍ} حقًا وصدقًا{ يَتَفَكَّرُونَ} ويتأملُون ويَتَبَصَّرُون، وآية تاسعة{ وَ} ترون{ فِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ} منها{ صِنْوَانٌ} مُتَفَرِّعةٌ من أصل واحد{ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} متفردة بجذعها، والآية العاشرة{ يُسْقَى} جميعها{ بِمَاء وَاحِدٍ} والآية الحادية عاشرة{ وَنُفَضِّلُ} بإبداع الخَلق{ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ} والمذاق والألوان فـ{ إِنَّ فِى ذَلِكَ} كلِّه{ لَأَيَٰتٍ} وأدلةٍ وبراهين على عظيم صُنعِه وألوهيته وقدرته ووحدانيته{ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويتفكرون ويؤمنون.

ثمّ استنكر تعالى على كُفر وجُحُود الكافرين فقال:{ وَإِن تَعْجَبْ} من شيء{ فَـ} الـ{ عَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} فـ{ أُوْلَـٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِـ} آيات وأدلة وبراهين{ رَبِّهِمْ} عنادًا وعصيانا واستِكبارًا{ وَأُوْلَئِكَ} يوم القيامة ترى{ الأَغْلاَلُ} والسلاسل{ فِى أَعْنَاقِهِمْ} يُسحبون، في جهنّم يُسَجَّرُون ويُسَعَّرُون{ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ} وأهل{ النَّارِ هُمْ فِيهَا} أبدًا{

خَالِدونَ وَ} الأعجب أَنَّهم{ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِـ} العقوبة{ السَّيِّئَةِ} في الدنيا كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء{ قَبْلَ} استعجالهم النعمة{ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ} ومضت{ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ} والعقوبات، كما كانت في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، ثمّ أكّد تعالى وقال:{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ} واسعة عريضة{ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} وكفرهم وجحودهم لمن شاء، كما{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} في الدنيا والآخرة، فلا تستعجلوا عذابه، ثمّ استنكر تعالى على الكافرين فقال:{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} ومعجزة ودليل وبرهان{ مِّن رَّبِّهِ} لنؤمن رغم كثرتها كما أشار تعالى لها، ثمّ أكّد تعالى أنه ﷺ ليس على إيمان الكافرين بوكيل فقال:{ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ} وأنتم منذرون{ وَلِكُلِّ قَوْمٍ} أرسل تعالى رسولًا{ هَادٍ} فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

الملخص: -

أقسم تعالى بأن القرآن هو الحق، وبيّن بعض آياته، واستنكر كفر الكافرين.

(٨-١٦) بيان شيءٍ من سعة علمه تعالى، وبعض آياته وقدرته وسننه، ومحاجة الكافرين، وتأكيد عجز كل ما يُعبد من دونه تعالى.

اللَّه يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّه بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّه قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

بيّن تعالى جانبًا من سعة علمه فقال:{ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى} من الخلق في كل لحظة من إنس وجن وحيوان ونبات{ وَمَا تَغِيضُ} وتلد تلك{ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} ويستجد في حملها{ وَكُلُّ شَيْءٍ} خلقه تعالى في السماوات والأرض{ عِندَهُ} منضبط{ بِمِقْدَارٍ} وميزان، وهو تعالى:{ عَالِمُ الْغَيْبِ} ماضيه وحاضره ومستقبله إلى الأبد، كما{ وَ} يعلم{ الشَّهَادَةِ} وما يدور بين جميع خلقه في لَّحظة، وهو{ الْكَبِيرُ} في كل أسمائه وصفاته{ الْمُتَعَالِ} عن كل نقصان، من ولدٍ ونَفَسٍ وشرابٍ وطعام، ثمّ أشار تعالى إلى شيءٍ آخر من علمه فقال: فالخلق في علمه تعالى{ سَوَاءٌ} من{ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ} وأضمر{ الْقَوْلَ} في صدره{ وَمَن جَهَرَ} وصدح{ بِهِ} وأفصح عنه وبيَّنه{ وَ} كذلك{ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ} يسير{ بِاللَّيْلِ} سرًا{ وَسَارِبٌ} يسعى ماشيًا منطلقًا{ بِالنَّهَارِ} فـ{ لَهُ} تعالى{ مُعَقِّبَاتٌ} من الملائكة يتعاقبون عليكم ليل نهار، يكتبون أعمالكم{ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ} وما هو منشغلٌ به{ وَمِنْ خَلْفِهِ} وما صَدَرَ عنه فـ{ يَحْفَظُونَهُ} مسطورً مكتوبًا{ مِنْ أَمْرِ} وتوجيه{ اللّهِ} وتدبيره.

ثمّ أشار تعالى إلى سُننٍ من سننه فقال مؤكِّدًا:{ إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} من نعمة أو ضُر{ حَتَّى يُغَيِّرُواْ} هم أولًا{ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} من خيرٍ أو شر{ وَ} وكذلك{ إِذَا أَرَادَ اللَّه} تعالى{ بِقَوْمٍ سُوءاً} وضُرًا ينزل بهم عقوبة أو امتحانًا{ فَـ} ذلك كائنٌ{ لاَ مَرَدَّ لَهُ} أبدًا{ وَمَا لَهُم} من إنسٍ ولا جِنٍّ ولا شركٍ{ مِّن دُونِهِ} تعالى{ مِن وَالٍ} يحفظهم أو يمنعهم أو يحميهم.

ثمّ أشار تعالى إلى آياتٍ من آياتهِ فقال:{ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ} بما أودع تعالى في أبصاركم من قدرة{ الْبَرْقَ خَوْفاً} من عقوبة{ وَطَمَعاً} في نعمة ورزقٍ{ وَ} هو تعالى من إبداعه وإتقانه{ يُنْشِئُ} ويَجعل ويُكون في السماء{ السَّحَابَ الثِّقَالَ} بالأمطار والبَرَد{ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ} وجميع خلقه{ بِحَمْدِهِ} ولكن لا تفقهُن ولا تفهمون تسبيحهم لقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...}﴿٤٤﴾ {وَ } كذلك{ الْمَلاَئِكَةُ} تُسبحه{ مِنْ خِيفَتِهِ} وخشيته{ وَ} هو تعالى الذي{ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} عقوبةً{ فَيُصِيبُ بِهَا} مُهلكًا{ مَن يَشَاءُ} بِحُكمِه وعدلِه وحكمتِه{ وَهُمْ} كافرون{ يُجَادِلُونَ فِى} حقيقة{ اللّهِ} وفي قضائه وقَدره وسَننه التي يمضيها في خلقه{ وَهُوَ} تعالى{ شَدِيدُ} القدرة والقوة{ الْمِحَالِ} الذي لا يُفلت من مراده، و{ لَهُ} تعالى وحده{ دَعْوَةُ الْحَقِّ} في الخلق والأمر والمشيئة في السماوات والأرض{

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ} من أصنام أو أوثان أو شركاء{ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم} أبدًا{ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَ} ما يستجيب الماء لإنسان{ بَاسِطِ كَفَّيْهِ} لا يبذل جهدًا{ إِلَى الْمَاء} راجيًا من الماء{ لِيَبْلُغَ} ويصل إلى{ فَاهُ} ليشرب{ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} أبدًا{ وَمَا دُعَاء} وأقوال وحجج{ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي} هلاك وضياعٍ و{ ضَلاَلٍ}.

ثمّ بيّن تعالى حقيقة أخرى فقال:{ وَلِلّهِ} تعالى{ يَسْجُدُ} ويستجيب ويطيع كل{ مَن فِي السَّمَاوَاتِ} من خلائق{ وَ} من في{ الأَرْضِ طَوْعاً} بإيمانهم{ وَكَرْهاً} بكُفرهم، فخلايا أجسادهم مسبحَةً وشاهدةً عليهم يوم القيامة، ويحيهم ويميتهم تعالى متى وأين يشاء{ وَ} كذلك تسجد وتطيع وتنقاد له تعالى{ ظِلالُهُم} وما يعرشون ويشيدون{ بِالْغُدُوِّ} نهارًا{ وَٱلْآصَالِ} ليلًا.

و{ قُلْ} للكافرين الجاحدين المعرضين{ مَن رَّبُّ} وخالق وفاطر{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} بعد أن كانتا رتقًا كتلة واحده ففتقهما لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ ...}﴿٣٠﴾ ثمّ كانتا دخانًا لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ في ستة أيّام من أيّامه كما قال تعالى في سورة ق:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴿٣٨﴾ وكل يوم من أيامه كألف سنةٍ من أيّام الأرض لقوله تعالى في سورة الحج:{... وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴿٤٧﴾ ثمّ{ قُلِ} وقولوا لهم{ اللَّه} خالق كلَّ شيء وهو الواحد القهَّار، و{ قُلْ} لهم محذِّرًا{ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ} تعالى{ أَوْلِيَاء} شفعاء نُصراء وهم{ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً} و{ قُلْ} وقولوا: و{ هَلْ يَسْتَوِى} عندكم{ الأَعْمَى} الصُّم البكم{ وَالْبَصِيرُ} بصرًا وبصيرته{ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى} عندكم{ الظُّلُمَاتُ} والجهل{ وَالنُّورُ} والعلم{ أَمْ} أنّهم{ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ} تعالى{ فَتَشَابَهَ} واختلط{ الْخَلْقُ} والأمر{ عَلَيْهِمْ} فلم يعرفوا ولم يُميِّزوا خالقًا من وثن وصنم، فـ{ قُلِ} لهم{ اللَّه خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ} في السماوات والأرض{ وَهُوَ الْوَاحِدُ} الأحد{ الْقَهَّارُ} الفعّال لما يريد.

الملخص: –

ضرب تعالى المثل لسعة علمه، وبيّن بعض آياته وقدرته وسننه، وحاجَّ الكافرين، وأكّد عجز ما يُعبد من دونه تعالى.

(١٧-٢٩) ضرب المثل للحق والباطل، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين وبعض صفاتهم، وسننه تعالى التي يمضيها فيهم.

أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾

ضرب تعالى المثل للحق والباطل فقال:{ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء} ليحي به الأرض بعد موتها، ليُنبتَ به زرعًا ويُثمر ثمارًا{ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} أي بقدر ما نزل من الماء{ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ} فوق سطحه{ زَبَداً رَّابِياً} متناميًا{ وَ} احتمل أشياءً أخرى كأغصان الشجر وأوراقه{ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء} صناعة{ حِلْيَةٍ} يتزينون بها{ أَوْ} صناعة{ مَتَاعٍ} آخر لاحتياجاتهم، وما يُوقدون عليه هو{ زَبَدٌ مِّثْلُهُ} أي مثل زبد السيل ثمّ يكون رمادًا{ كَذَلِكَ} وبمثل هذا المثل{ يَضْرِبُ اللّهُ} تعالى{ الْحَقَّ} بماء المطر وما ينتج عنه، والحلي والمتاع{ وَالْبَاطِلَ} هو الزبد{ فَأَمَّا الزَّبَدُ} الذي يطفوا على سطح السيل، وما يُشعَل لصنع المتاع{ فَيَذْهَبُ جُفَاء} ورمادًا{ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ} من نبات وتربة صالحة وحُلي ومتاع{ فَيَمْكُثُ} ويبقى{ فِي الأَرْضِ} يباع ويشترى، فـ{ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ} لبيان المقاصد.

ثم بيّن تعالى جزاء الفريقين فقال:{ لِلَّذِينَ} آمنوا وعملوا الصالحات و{ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ { وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ} وأعرضوا واستكبروا{ لَوْ أَنَّ لَهُم} يوم القيامة ثروات{ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ} وأضعافه{ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ} ولن يُتَقبَل منهم، فـ{ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ} في الدنيا{ وَمَأْوَاهُمْ} ومنزلهم{ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} الذي مَهدوهُ لأنفسهم.

ثمّ أكّد تعالى وقال:{ أَفَـ} يكون جزاء{ مَن} آمن وعمل صالحًا كمحمد ﷺ ومن آمن به و{ يَعْلَمُ} يقينًا{ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ} من وحي وقرآن هو{ الْحَقُّ} فيتمسك ويعمل به ويدعوا إليه{ كَ} جزاء{ مَنْ هُوَ أَعْمَى} أو يتعامى عن الحق{ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ} النصح والهدى والتوجيه{ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} والعقول والأفهام، فهم أولًا{ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ} الذي أُخِذ عليهم بالإيمان بالله، وفعل المعروف، والانتهاء عن المنكر، ثانيًا{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّه بِهِ أَن يُوصَلَ} من أقارب وأرحام مَرضاةً لربهم، ثالثًا:{ وَيَخْشَوْنَ} ويتقون سخط وغضب{ رَبَّهُمْ} في الدنيا، رابعًا:{ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} في الدنيا والآخرة، خامسًا:{ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ} على ما يصيبهم

من بلاء{ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ} ومرضاته، سادسًا:{ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ} من فرائض في أوقاتها ونوافل، سابعًا:{ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} في سبيل الله من أموال وأنفُس لمصلحة الدين وعلى المحتاجين{ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً} ثامنًا:{ وَيَدْرَؤُونَ} ويمحون{ بِـ} الأعمال الصالحة{ الْحَسَنَةِ} باستغفارهم وتوبتهم{ السَّيِّئَةَ} فـ{ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الـ{ عُقْبَى} والجزاء الحسن في الدنيا، وفي تلك{ الدَّارِ} لهم{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ} في الجنان{ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ} يهنؤونهم يقولون:{ سَلاَمٌ عَلَيْكُم} خلودًا أبدًا{ بِـ} سبب{ مَا صَبَرْتُمْ} في الدنيا على ما أصابكم{ فَنِعْمَ عُقْبَى} وجزاء{ الدَّارِ} في الآخرة{ وَ} أمّا{ الَّذِينَ يَنقُضُونَ} ولا يلتزمون بـ{ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ} الذي أرسلت به الرُّسل{ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللُّه بِهِ أَن يُوصَلَ} من أرحام ومحتاجين{ وَيُفْسِدُونَ} ما أمر تعالى بإصلاحه{ فِي الأَرْضِ} فـ{ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ} والطرد من رحمته تعالى في الدنيا{ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} والمستقر في الآخرة.

ثمّ أكّد تعالى فقال:{ اللُّه} تعالى هو الذي{ يَبْسُطُ} ويجود بـ{ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} بعدله وعلمه{ وَيَقَدِرُ} ويُقتر ويُفقر بحُكمِه وحِكمته، وما ربك بظلّام للعبيد{ وَفَرِحُواْ} أي الكافرون{ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها ونعيمها{ وَمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وما يتمتعون به{ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ} قليلٌ ضئيل، ثمّ استنكر تعالى فقال:{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ} تبجحًا وغرورًا{ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} ومعجزة{ مِّن رَّبِّهِ} لنؤمن ونعمل، فـ{ قُلْ} لهم{ إِنَّ اللَّه يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} بسننه لقوله تعالى في سورة محمد:{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ}﴿١﴾ { وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} بسننه لقوله تعالى في سورة محمد:{ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ}﴿١٧﴾ فهم{ الَّذِينَ آمَنُواْ} بما أنزل تعالى{ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ} وهديه{ أَلاَ} حقًا وصدقًا{ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ} وتسعد{ الْقُلُوبُ} و{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} في الدنيا فـ{ طُوبَى} وسعادةً{ لَهُمْ} في الدنيا{ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ} ومرجعٍ في الآخرة.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل للحق والباطل، وبيّن جزاء المؤمنين والكافرين وبعض صفاتهم، وأشار إلى سننه التي يمضيها فيهم.

(٣٠-٣٥) بيان الغاية من بِعثته ﷺ، والرد على حجج الكافرين، وبيان سننه تعالى في المعاندين والمؤمنين.

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِىَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى
بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ
جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن
دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ
هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ
بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ
وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ
الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ
وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى:{ كَذَلِكَ} وبسننا{ أَرْسَلْنَاكَ} ﷺ{ فِي أُمَّةٍ} عربيةٍ{ قَدْ خَلَتْ} ومضت واندثرت{ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ} كُثُر{ لِّتَتْلُوَ} وتقرأ{ عَلَيْهِمُ} القرآن العزيز{ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ} لا زالوا{ يَكْفُرُونَ بِـ} بارئهم وخالقهم ورازقهم{ الرَّحْمَنِ} عنادا واستكبارًا، وهو تعالى اللطيف المنان، فـ{ قُلْ} وقولوا لهم{ هُوَ رَبِّي} وخالقي من نطفة، ثمّ من علقة، ثم مضغة، ثمّ عظامًا وكساها

لحمًا، و{ لا إِلَـهَ} أبدًا{ إِلاَّ هُوَ} تعالى وتنزه عن كل شرك فـ{ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} واعتمت لتبليغ رسالته{ وَإِلَيْهِ} استغفاري و{ مَتَابِ}ي وإنابتي.

ثمّ أشار تعالى إلى تبجّح الكافرون من قريش فقال:{ وَ} قالوا:{ لَوْ أَنَّ}ه{ قُرْآناً سُيِّرَتْ} وزُحزحت{ بِهِ الْجِبَالُ} من مكّة لنَحرث ونَزرع{ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ} ليُقَرِّب لنا الشَّام{ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} لنسألهم عن عذاب القبر والحساب والجنّة والنّار، فقل وقولوا:{ بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً} يفعل ما ومتى يشاء بعِلمِه وحِكمتِه، ثمّ عتب تعالى على المؤمنين فقال:{ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ} ممن كفر عناد واستكبار و{ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللُّه لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً} فجعلهم كالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكن سننه تعالى اقتضت الامتحان والابتلاء والتمحيص.

ثمّ أكّد تعالى استمرار ونُزُول العقوبات على الكافرين في الدنيا فقال:{ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم} وتنزل عليهم{ بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ} تلك النوازل والقوارع{ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ} وقراهم ومُدِنِهم{ حَتَّى} تقوم الساعة أو{ يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ} بهلاكهم في الدنيا، وعذابهم في القبر والبعث الحساب والميزان، فـ{ إِنَّ اللَّه} تعالى أبدًا{ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} لليوم الموعود.

ثمّ ضرب تعالى المثل للأمم المُهلَكة الغابِرة ليطمئن رسوله ﷺ والمؤمنين فقال:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ} وسُخِر{ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ} وكُذِّبوا وأوذوا وقُتلوا{ فَأَمْلَيْتُ} وامهلت وتَريثت وصَبرت{ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} ليستغفروا وليتوبوا وليؤمنوا{ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} لمّا عاندوا واستكبروا{ فَـ} انظر ونظروا عبر تاريخ الأمم المُهلكَة{ كَيْفَ كَانَ عِقَابِ} وجزاء ونكال.

ثمّ استنكر تعالى وقال:{ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ} يُحصي الأقوال والأعمال{ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ} من إنس وجن وحيوان ليحكم بينهم يوم القيامة{ بِمَا كَسَبَتْ} وعَمِلت، ثمّ استنكر على الكافرين والمشركين فقال:{ وَجَعَلُواْ} بعد كل الآيات والدلائل والبراهين في السماوات والأرض{ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ} بما تشاؤون، فسيبعثهم تعالى وشركهم ويُخزيهم{ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ} معشر الكفّار وتخبرونه{ بِمَا لاَ يَعْلَمُ} وما سيكون{ فِي الأَرْضِ} من ليل أو نهار{ أَم} تخبرونه تعالى{ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ} وما يتحدث به النّاس ويفعلونه{ بَلْ} الحق والحقيقة أنّهُ{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ} وكفرهم وعنادهم واستكبارهم{... وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ}﴿٣٧﴾ كما قال تعالى في سورة التوبة{ وَصُدُّواْ} بإبليس وأغوتهم الشياطين{ عَنِ السَّبِيلِ} لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ}﴿٣٦﴾ ثمّ أكّد تعالى

سننه وجزاءاته فقال:{ وَمَن يُضْلِلِ اللَّه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} أبدًا ولا مرشد، فـ{ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ} وأدهى وأمر{ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ} وعذابه ونكاله{ مِن وَاقٍ} يقيهم شرَّ الذُّل والهوان.

فهل يكون جزائهم{ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} في الآخرة{ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا} وثمارها ونعيمها{ دَآئِمٌ} أبدًا لا ينقطع{ وِ} كذلك{ ظِلُّهَا} لا حرور فيها ولا لظى فـ{ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ} سَخط وغَضب ربهم، فأمنوا وأطاعوا والتزموا{ وَّعُقْبَى} وجزاء{ الْكَافِرِينَ} العاصين المستكبرين{ النَّارُ} وغضب الجبّار، فهم لا يستوون في الدنيا ولا في الآخرة لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿٢١﴾.

الملخص: -

بيّن تعالى الغاية من بِعثته ﷺ، وردّ على حجج الكافرين، وأشار تعالى لسننه وجزاءاته في المعاندين والمؤمنين.

(٣٦-٤٣) تأكيد استبشار مؤمني أهل الكتاب بما أُنزِل عليه ﷺ، ونكران بعضهم، وبيان سننه تعالى فيهم، والرد على حُجَجِهم.

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّه وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّه مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّه يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

اختتم تعالى سورة الرعد باستبشار مؤمني أهل الكتاب بما نزل من القرآن فقال:{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} من يهود ونصارى وغيرهم{ يَفْرَحُونَ} ويستبشرون{ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} ﷺ وإليكم{ وَمِنَ الأَحْزَابِ} أي ومنهم كمشركي قريش

وطوائف من اليهود والنصارى{ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ} أو كلّه فـ{ قُلْ} وقولوا:{ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّه وَلا أُشْرِكَ بِهِ} من شيء، فـ{ إِلَيْهِ} تعالى{ أَدْعُو} وندعُو الناس للإيمان والتصديق به{ وَإِلَيْهِ} تعالى في الآخرة الـ{ مَئَابِ} والمرجع ليوم الحساب، ثمّ أشار تعالى إلى تشريف العرب وقال:{ وَكَذَلِكَ} بعدلنا وحُكمنا وحِكمتنا{ أَنزَلْنَاهُ} أي القرآن العزيز{ حُكْماً عَرَبِيّاً} تشريفا وتكليفا لهذه الأمَّة، فجعلها تعالى خير أمّة أخرجت للنّاس، وهذه الأمة تَنتَسِب إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم(عس) ولغتهم من أضبط وأغنى اللغات، لتميزها بالإيجاز والفصاحة والبلاغة والإعراب، وكثرة المفردات والمترادفات، والاشتقاقات، ودلالة الأصوات على المعاني، كما ورد مختصرًا في الموسوعة الحرة، فجعل تعالى اللغة العربية هي لغة القرآن العزيز، ولغة الحُكم بين النّاس، وكلّفها بإقامة دينه تعالى في الأرض.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ} واتبعتم{ أَهْوَاءهُم} ورغبات الذين كفروا وأشركوا{ بَعْدَ مَا جَاءكَ} وجائكم{ مِنَ الْعِلْمِ} واليقين فـ{ مَا لَكَ} وما لكم{ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ} تلجؤُون إليه ناصرً ومؤيدًا{ وَلاَ وَاقٍ} يقيكم عقوبته في الدنيا ولا في الآخرة كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ

تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}﴿٧٥﴾.

ثمّ ردّ تعالى على استنكارات المشركين كون الرسول ﷺ بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وكثرة الزواجات فقال:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً} كُثُر{ مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً} كإبراهيم ويعقوب (عس)، وقد جعل تعالى لسليمان وداوود (عس) زوجات كُثُر{ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ} أبدًا{ أَن يَأْتِيَ بِئَايَةٍ} أو معجزة ولا دليل ولا برهان{ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} ومشيئته وأمره، فـ{ لِكُلِّ أَجَلٍ} من رسالة أو رسول{ كِتَابٌ} وأجل مسمى، و{ يَمْحُو اللُّه مَا يَشَاءُ} من أفراد وأمم ورسالات، وما ينسخ تعالى من آية ولا دين ولا أمّة إلّا ويأتي بخير منها لقوله تعالى في سورة البقرة:{ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}﴿١٠٦﴾ { وَيُثْبِتُ} من الأمم والرسالات ما يشاء، فأثبت أمّة محمد ﷺ كخير الأمم، وحُكم القرآن وشرائعه مهيمنة على كل الرسالات{ وَعِندَهُ} تعالى ذلك مدون في { أُمُّ الْكِتَابِ} الذي لا تغيير فيه ولا تبديل، ثمّ بيّن تعالى حقيقةً فقال:{ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ} من العذاب في الدنيا{ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} قبل ذلك{ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ} المبين، ودعوة النّاس لدينه لقوله تعالى في سورة

يوسف:{ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}﴿١٠٨﴾ { وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} في الدنيا والآخرة.

ثمّ استنكر تعالى فقال:{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ} إي الكافرون{ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا} من الذين كفروا وأشركوا وارتابوا{ مِنْ أَطْرَافِهَا} ويدخل الناس في دينه تعالى أفواجًا{ وَاللَّه يَحْكُمُ} ويدبر ويقضي و{ لاَ مُعَقِّبَ} ولا مستأنف{ لِحُكْمِهِ} وقضائه وقدره{ وَهُوَ} تعالى{ سَرِيعُ الْحِسَابِ} والجزاء، فيحاسب الخلق في آنٍ واحد{ وَقَدْ مَكَرَ} الكفرة والمشركين والمستكبرين{ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ} عاقبة{ الْمَكْرُ} المُحكم والمنضبط{ جَمِيعاً} ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله، و{ يَعْلَمُ} تعالى{ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ} من إنس وجن وحيوان{ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ} في الدنيا قبل الآخرة{ لِمَنْ عُقْبَى} الحسنة في الدنيا وجزاء{ الدَّارِ} في الآخرة{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً} فـ{ قُلْ} وقولوا:{ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} على صدقي ورسالتي، كما{ وَ} يشهد بذلك{ مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} من ملائكة، والذين آمنوا من يهود ونصارى ومشركين.

الملخص: –

أُختتمت تعالى سورة الرعد باستبشار المؤمنون بما نَزِّل عليهم، وإنكار الكافرين، وأكّد مضي سننه تعالى فيهم، ودحض حُجَجُهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة إبراهيم ترتيبها (١٤) وآياتها (٥٢)

(١-١٢) القسم بأنّ القرآن هدًى للناس، وتوعد من كفر، وضرب المثل بموسى (ع‌س) والإشارة إلى سننه تعالى في الأمم، والأمر بالتوكل عليه.

الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِى ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّه مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِى ذَلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ

أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّه لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّه جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللَّه يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

افتتح تعالى سورة إبراهيم بالقسم بثلاثة حروف فقال:{ الَر} لما للحروف من أهمية بالغة في كتابة العلوم عمومًا والقرآن والسنة وعلومهما خصوصًا، وجواب القسم{ كِتَابٌ} أي القرآن العزيز{ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} ﷺ وإليكم{ لِتُخْرِجَ} ولتخرجوا{ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ} والكفر والأوهام، وما يترتب عليه من عقوبات في الدنيا والآخرة{ إِلَى النُّورِ} والهدى والرحمة في الدارين{ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه تعالى{ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ} الذي لا

ضلال ولا نقيصةَ فيه{ الْحَمِيدِ} لمن آمن وشكر، ثمّ عرّف تعالى نفسه العلية وقال:{ اللّهِ الَّذِى لَهُ} ملك{ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ} من ملائكة وإنس وجن وحيوان وبنات وجمادات{ وَوَيْلٌ} وعذاب عظيم، وبُؤس وشقاء{ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} في الدنيا قبل الآخرة، ثمّ عرّف تعالى الكافرين فقال أوّلًا:{ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ} زينة{ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ويفضلونها{ عَلَى} الحياة{ ٱلْآخِرَةِ} ونعيمها، ثانيًا:{ وَيَصُدُّونَ} النّاس{ عَن سَبِيلِ} ودين وشرع{ اللّهِ} تعالى، ثالثًا:{ وَيَبْغُونَهَا} أي يبغون التشريعات والأنظمة والقوانين{ عِوَجاً} مخالفةً لهدي الله تعالى فـ{ أُوْلَـئِكَ فِى ضَلاَلٍ} عن الحق والصراط المستقيم{ بَعِيدٍ} سحيق.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَمَا أَرْسَلْنَا} قبلك{ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ} ولغة{ قَوْمِهِ لِيُبَيّنَ لَهُمْ} هديه تعالى{ فَيُضِلُّ اللَّهُ} تعالى{ مَن يَشَاءُ} من المعاندين والمستكبرين لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيّضْ لَهُۥ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٧﴾ { وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ} بعلمه وعدله وحكمته فيزيدهم هدًى ويؤتهم تقواهم لقوله تعالى في سورة محمد:{ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى

وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴿١٧﴾ { وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي لا يقبل إلّا دينه وشرعه، وليس كمثله شيء، الغالب المتعال في كل أسمائه وصفاته، وهو{ الْحَكِيمُ} في كل شأنه.

ثم أكّد تعالى وقال:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِئَايَٰتِنَآ} ومعجزاتنا، وأمرناه أوّلًا:{ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ} الكفر والضلال{ إِلَى النُّورِ} والهدى، ثانيًا:{ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ} وسننه في المؤمنين والكافرين، فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} القصص{ لَأَيَٰتٍ} وعِبر{ لِّكُلِّ صَبَّارٍ} على البلاء{ شَكُورٍ} على النِّعم{ وَ} اذكروا{ إِذْ} ويوم{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} من يهود{ اذْكُرُواْ} أوّلًا:{ نِعْمَةَ} وفضل{ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ} ويوم{ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ} الذين{ يَسُومُونَكُمْ} ويهينُونكم بـ{ سُوءَ الْعَذَابِ} ثانيًا:{ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ} لضمان استتباب سلطانهم{ وَفِي ذَلِكُم بَلَآءٌ} وامتحان لإيمانكم وصبركم{ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} ثالثًا:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ} وأخذ العهد على نفسه{ لَئِن} آمنتم و{ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} فضلًا وإحسانًا{ وَلَئِن كَفَرْتُمْ} وعصيتم فـ{ إِنَّ عَذَابِي لَـ} قاسٍ{ شَدِيدٌ} رابعًا:{ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ} وتعرضوا وتستكبروا{ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّه لَغَنِيٌّ} عن العالمين{ حَمِيدٌ} لمن آمن وشكر، خامسًا:{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ} وخبر{ الَّذِينَ} أُهلكوا{ مِن قَبْلِكُمْ} كـ{ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَ} الأمم{ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ

اللَّه} فقد{ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والبراهين{ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} مُنكرين مستكبرين{ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ} من ربكم{ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ} من صدقكم و{ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ} من إيمان{ مُرِيبٍ} عريض، فـ{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ} وخالق ومُبدع{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} الذي{ يَدْعُوكُمْ} للإيمان والتصديق{ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن} مّا سلف من{ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ} ولا يهلككم بعذاب{ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} معلوم عنده تعالى، فـ{ قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} وهدم معتقداتنا{ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ} وحجّة وعلمٍ وبرهان{ مُّبِينٍ} لصدقكم فـ{ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ} مؤكدين{ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللَّه يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} فيصطفيهم لرسالاته{ وَمَا كَانَ} ولا قدرة{ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ} ولا حجة ولا برهان{ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} ومشيئته{ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ} ويعتمد ويثق{ الْمُؤْمِنُونَ وَ} قالوا:{ مَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا} وأرشدنا{ سُبُلَنَا} سبل السلام للدنيا والآخرة، ثمّ أكّدوا وقالوا:{ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا} ومكرتم بنا{ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ} ويعتمد ويثق{ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

الملخص: -

أقسم تعالى بأنّ القرآن هدًى للناس، وتوعد من كفر، وضرب المثل بموسى (ع‌س) والرسل، وأشار إلى سننه فيهم، وأمر تعالى المؤمنين بالتوكل عليه.

(١٣-٢٣) الإشارة إلى توعد الكفار للرُّسُل وجزائهم، وحوار المستضعفين لأسيادهم، وتبرؤ الشيطان منهم، ودخول المؤمنين الجنان.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ

الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّه وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي
فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي
كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ
الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴿٢٣﴾

أشار تعالى لرد الكافرين على رُسلهم فقال:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ} جازمين ومنذرين{ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا} وقُرانا{ أَوْ لَتَعُودُنَّ} كفّارًا كما كنتم{ فِي مِلَّتِنَا} وشِركنا{ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ} جزمًا{ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} في الدنيا{ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ} وزوال سلطانهم، فـ{ ذَلِكَ} وعدٌ{ لِـ} كل{ مَنْ خَافَ مَقَامِي} يوم القيامة{ وَخَافَ وَعِيدِ} في الدنيا والآخرة{ وَاسْتَفْتَحُواْ} واستبشروا وانتصروا، أي المؤمنون{ وَخَابَ} وخسر وهلك{ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}﴿١٤﴾ ومن

بعد ذلك{ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى} فيها{ مِن مَّاء} قيحٍ{ صَدِيدٍ} مَرِير{ يَتَجَرَّعُهُ} مكرهًا مُرغمًا{ وَلاَ يَكَادُ} ولا يقدر{ يُسِيغُهُ} ولا يستسيغه{ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ} ليموت{ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} خالدًا فيها أبدًا{ وَمِن وَرَآئِهِ} وينتظرُه{ عَذَابٌ غَلِيظٌ} في سلسلةٍ من العذابات كقوله تعالى في سورة الحاقة:{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ}﴿٣٢﴾.

ثمّ ضرب تعالى المثل لأعمال الذين كفروا فقال:{ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ} المرجوَّة عندهم{ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} فبادت واندثرت{ لاَّ يَقْدِرُونَ} على نيل أجرٍ{ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَىْءٍ} فـ{ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ} في الدنيا، ثمّ توعد تعالى فقال:{ أَلَمْ تَرَ} وألم تروا{ أَنَّ اللَّه خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} الواضح المُبين فـ{ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} ويستأصلكم{ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} ولا صعبٍ ولا عسير.

ثمّ أشار تعالى إلى حوار الضعفاء لأسيادهم العاصيين فقال:{ وَبَرَزُواْ} من قبورهم{ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً} وعَضُدًا{ فَهَلْ أَنتُم} اليوم{ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَىْءٍ} فـ{ قَالُواْ لَوْ

هَدَانَا اللَّه لَهَدَيْنَاكُمْ} وما كان الله تعالى ليهديهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿٢٥٨﴾ لقوله تعالى في سورة البقرة:{... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ}﴿٢٦٤﴾ لقوله تعالى في سورة المائدة:{... وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}﴿١٠٨﴾ { سَوَاء عَلَيْنَا} اليوم{ أَجَزِعْنَا} من عذاب جهنم{ أَمْ صَبَرْنَا} عليه، فـ{ مَا لَنَا مِن} مهرب ولا{ مَّحِيصٍ}.

ثم أشار تعالى لخذلان الشيطان لهم فقال:{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ} لأوليائه{ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ} والحساب وأحاطهم العذاب{ إِنَّ اللَّه وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} فكذّبتم{ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} فيما وعدتكم وزينت لكم{ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ} ولا قهر ولا حجة ولا برهان{ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ} للكفر فطابت أنفُسكم{ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي} على إضلالكم{ وَلُومُواْ أَنفُسَكُم} على كفركم وعصيانكم، فـ{ مَّا أَنَاْ} اليوم{ بِمُصْرِخِكُمْ} ولا منقذكم{ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} ولا منقذي فـ{ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} فـ{ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ} شديد{ أَلِيمٌ} مهين{ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ} وصدّقُوا{ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا{ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} ومشيئته، فـ{ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا} يوم يلقونه{ سَلاَمٌ}.

الملخص: -

أشار تعالى إلى توعد الكفار للرُّسُل، وبيّن مثواهم، وحوار المستضعفين لأسيادهم، وتبرؤ الشيطان منهم، ودخول المؤمنين الجنان.

(٢٤-٣٤) ضرب المثل للكلمة الطيبة والخبيثة، واستنكاره تعالى تبديل نِعَمه كفرًا، وأمر بطاعته، وأكّد خلقه لكل شيء، وبيّن نِعَمهُ وفَضلِه.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّه مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّه الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّه الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّه الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ ﴿٣١﴾ اللَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

ضرب تعالى المثل لكلمة لا إله إلّا الله محمد رسول الله فقال:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً} والتي تضمن الهداية والسعادة لصاحبها في الدنيا قبل الآخرة، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ وللذكر والأنثى لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ فهي{ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ} عند الله تعالى{ وَفَرْعُهَا} وقِيَمِها ممتدة عاليةً{ فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا} وثمارها في{ كُلَّ حِينٍ} ليل نهار، وفي الدنيا والآخرة{ بِإِذْنِ رَبِّهَا}.

فشرائعها تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض، بالمحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وبحسن الخلق، وإقامة العدل بين الناس، وتوطيد العلاقات الأسرية وصلة الرَّحِم، وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة والكفارات والأضحية، وبالجيران، والخَدم والأرامل والأطفال والأيتام، ومجهولي النسب، والمسالمين من الكفّار، وتوقير الكبير ورحمة الصغير، وتعمل على استدامة القيم في المجتمع بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر{ وَيَضْرِبُ اللَّه} تعالى{ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ} ليؤمنوا و{ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} ويتمسكون.

ثمّ قال تعالى عن الكفر:{ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} ينفر منها أهل الإيمان فـ{ اجْتُثَّتْ} واقتلعت وأزيلت{ مِن فَوْقِ الأَرْضِ} فـ{ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} كونها تجلب الشقاء وضنك العيش في الدنيا لهدمها قيم الإسلام، ومئالها العذاب المقيم في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وبذلك{ يُثَبِّتُ اللَّه} تعالى{ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فلا يحيدون عنها، ويجاهدون في سبيلها بالأموال والأنفس{ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ} يخلدون بها في جنّات النعيم{ وَيُضِلُّ اللَّه الظَّالِمِينَ} بكفرهم وعنادهم وعصيانهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ جزاء كفرهم{ وَيَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ} بحُكمه وعدله وحِكمته ولا يظلم ربك أحدًا.

ثمّ استنكر تعالى مُستبدلي الكفر بالإيمان فقال:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ} بتسخيره ما في السماء والأرض وجعلوها{ كُفْراً} وجحودًا{

وَأَحَلُّواْ} وأنزلوا{ قَوْمَهُمْ} وقُراهم{ دَارَ الْبَوَارِ} والخسران كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}۝١٤ ولهم{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} وحرَّها ولُظاها{ وَبِئْسَ الْقَرَارُ} والمنزل، ثمّ استنكر تعالى شركهم فقال:{ وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} وأصنامًا وأوثانًا{ لِّيُضِلُّواْ} الناس{ عَن سَبِيلِهِ} تعالى وهديه، فـ{ قُلْ} وقولوا:{ تَمَتَّعُواْ} بكفركم في الدنيا{ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ} ومقركم{ إِلَى النَّارِ} وبأس القرار.

ثمّ أمر تعالى فقال:{ قُل} وقولوا{ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ} المفروضة في أوقاتها ويتطوعوا بما شاءوا{ وَيُنفِقُواْ} في سبيل الله تعالى لإقامة دينه في الأرض{ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} من خيرٍ وعِلم{ سِرّاً} وخُفيةً{ وَعَلانِيَةً} ليتأسى الصالحون بهم{ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ} في الآخرة{ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ} للحسنات{ وَلاَ} تنفعهم{ خِلاَلٌ} ولا أصحاب ولا أرحام.

فـ{ اللَّه} تعالى هو{ الَّذِى خَلَقَ} وأنشأ{ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} في ستة أيّام من أيّامه{ وَأَنزَلَ} بإبداع خلقه وتدبيره{ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} مطرًا{ فَأَخْرَجَ}

وأنبت{ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ} المختلف ألوانها ومذاقها{ رِزْقاً لَّكُمْ} لتُقِيموا به صُلبكم{ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ} سابحةً{ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} وإبداع خلقه{ وَسَخَّرَ لَكُمُ} ولمصالحكم{ الأَنْهَارَ} كما{ وَسَخَّر لَكُمُ} ولمعاشكم{ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِبَينَ} مثابرين مواظبين{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ} سكنًا ومستراحًا{ وَالنَّهَارَ} نشورًا وكدًا{ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا} لو{ سَأَلْتُمُوهُ} مسبقًا{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ} عليكم{ لاَ تُحْصُوهَا} ثمّ أكّد تعالى جزمًا فقال:{ إِنَّ الإِنسَانَ} المعرض عن هدي ربه ونِعَمه{ لَظَلُومٌ} لله تعالى ولنفسه فيشقيها في الدنيا ويخزيها في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهو{ كَفَّارٌ} لِنِعمه تعالى عليه.

الملخص: -

ضــرب تعالى المثل للكلمة الطيبة والخبيثة، واســتنكر تبديل النعمة كفرًا، وأمر بطاعته، وأكّد خلقه لكل شيء وبيّن نعمه وفضله.

(٣٥-٥٢) التذكير بدعوة إبراهيم (عس) وتأكيد أنّه تعالى ليس بغافل عمّا يعمل الظالمون، وبيان الحكمة من إمهالهم، والتحذير من يوم الحساب.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْيِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَىْءٍ فَى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاء ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّه غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْيِدَتُهُمْ هَوَاء ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ

ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ
مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلاَ
تَحْسَبَنَّ اللَّه مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ
غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾
لِيَجْزِى اللَّه كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّه سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿٥١﴾ هَـذَا بَلاَغٌ
لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

اختتم تعالى سورة إبراهيم (عس) بدعائه فقال:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} داعيًا:{ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ} أي مكّة المكرمة{ آمِناً} للناس أوّلًا، ثانيًا:{ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ} وذُرِّياتي{ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ} وأغوين{ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} عن سبيلك{ فَمَن تَبِعَنِي} مؤمنًا{ فَإِنَّهُ مِنِّي} وعلى مِلَّتي{ وَمَنْ عَصَانِي} وأعرض{ فَإِنَّكَ غَفُورٌ} لمن تاب وأناب{ رَّحِيمٌ} لا تعاجل بالعقوبة.

ثالثًا:{ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ} بأمرك{ مِن ذُرِّيَّتِي} هاجَر وانبها اسماعيل(عس) تمهيدًا لبعثة خاتم الرُّسُل محمد ﷺ في العرب، ورسولًا لخير أمّة تُخرج للناس{ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ} أي مكّة المكرمة{ الْمُحَرَّمِ}

فيه الاعتداء على الأنفُس، رابعًا:{ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ} أي لأجل أن يقيموا{ الصَّلاَةَ} فرائضها ونوافلها{ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً} محبةً{ مِّنَ} قلوب{ النَّاسِ تَهْوِى} راغبةً{ إِلَيْهِمْ} خامسًا:{ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ} كما رزقت أهل الشام{ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} وينيبون، سادسًا:{ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى} في الصدور{ وَمَا نُعْلِنُ} من أقوال وأفعال{ وَمَا يَخْفَى} أبدًا{ عَلَى اللّهِ مِن شَىْءٍ} كبُر أو صغُر{ فَى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاء} ثمّ ابتهل شاكرًا وقال:{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ} (عس) جدًا للعرب، فمعظم قبائل الحجاز من نسله(عس)، وهذه الأمّة هي أولى الناس بإبراهم (عس) مع من آمن به، والله تعالى وليُّهم لقوله في سورة آل عمران:{ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}٦٨ { وَإِسْحَاقَ} (عس) جدًا لبني إسرائيل، وتقديم ذِكر إسماعيل (عس) في القرآن على إسحاق (عس) إشارة لتقدمه سنًا ومقامًا{ إِنَّ رَبِّى} قطعًا{ لَسَمِيعُ الدُّعَاء} سابعًا:{ رَبِّ اجْعَلْنِى} أبدًا{ مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى} فكانت خير الأمم منه (عس) ثامنًا:{ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء} تاسعًا:{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} وقد استغفر (عس) لوالديه يقينًا بإيمانهما، أمّا عمّه

العدو لله فقد تبرأ منه، لقوله تعالى في سورة التوبة:{... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ...}﴿١١٤﴾.

ثمّ وجّه تعالى خطابه لرسوله ﷺ ولأمته فقال:{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّه} أبدًا{ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ} ويَمكُر{ الظَّالِمُونَ} فـ{ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ} وعقوبتهم{ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ} فلا تَطرُف{ فِيهِ الأَبْصَارُ} { مُهْطِعِينَ} ذُلًا{ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} مهانةً{ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} ولا تَغمُض جفونهم{ وَأَفْئِدَتُهُمْ} عند حناجرهم{ هَوَاء} كقوله تعالى في سورة غافر:{ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ ...}﴿١٨﴾ كما وردت المعاني في التفاسير.

ثمّ أمر تعالى قائلًا:{ وَأَنذِرِ} وأنذروا{ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ} في الدنيا بسننه تعالى، وفي الآخرة{ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ} طغيانًا وتجبُّرًا{ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ} ودينك{ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ} فيقال لهم:{ أَوَلَمْ تَكُونُواْ} في الدنيا{ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ} أنّه{ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ} ولا فَناءٍ ولا انكسار{ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} فكفرتم بكُفرِهم{ وَ} قد{ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ} كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم{ وَضَرَبْنَا لَكُمُ} في القرآن{ الأَمْثَالَ} والمواعظ والعِبر{ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ} برسلهم{ وَعِندَ اللّهِ} مُسطرٌ{ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ} عظيمًا{ لِتَزُولَ} وتُمحى{ مِنْهُ الْجِبَالُ}

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّه} أبدًا{ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ} بنصرهم واستخلافهم الأرض فـ{ إِنَّ اللَّه} أبدًا{ عَزِيزٌ} لا يُغلب{ ذُو انْتِقَامٍ} فذلك{ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} ووقوعها على الأرض لقوله تعالى في سورة الحج:{... وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ...}﴿٦٥﴾ { وَبَرَزُواْ} بعثًا من قبورهم{ للّهِ الْوَاحِدِ} الغالب{ الْقَهَّارِ} الجبار{ وَتَرَى} الظالمين{ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ} مُوثَّقين بالسلاسل إلى أعناقهم{ فِي الأَصْفَادِ} والأغلال{ سَرَابِيلُهُم} وثيابهم{ مِّن} نحاسٍ{ قَطِرَانٍ} مذاب{ وَتَغْشَى} وتلفح{ وُجُوهَهُمْ النَّارُ} { لِيَجْزِى اللُّه كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} من خير وشر فـ{ إِنَّ اللَّه سَرِيعُ الْحِسَابِ} يحاسبهم جميعًا كما يرزقهم، ثمّ أمر تعالى بتحذير الناس فقال:{ هَـذَا} أي القرآن{ بَلاَغٌ} ووعيد{ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ}{ وَلِيَعْلَمُواْ} ويُبلَّغوا بـ{ أَنَّمَا هُوَ} تعالى{ إِلَـهٌ وَاحِدٌ} لا شريك له{ وَلِيَذَّكَّرَ} وليتيقن{ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} والعقول والأفهام.

الملخص: –

ذكَّر تعالى بدعاء إبراهيم (ع‌س) وأكَّد تعالى أنّه ليس بغافل عمّا يعمل الظالمين، وبيّن الحكمة من إمهالهم، وأمر بتحذير الناس من يوم الحساب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحجر

ترتيبها (١٥) آياتها (٩٩)

(١-٢٧) القسم بآيات الكتاب والقرآن، والردّ على جدل الكفّار، والإشارة إلى إبداع خلقه ونِعمه، وتأكيد حشر الناس وحسابهم، وأنّ الجان خلق قبل الإنسان.

الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاٍئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلاٍئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُواْ

إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء
بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلاَّ مَنِ
اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ
لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾
وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

افتتح تعالى سورة الحِجْر بالقسم بثلاثة حروف، لأهمية الحروف في كتابة اللغة فقال:{ الَرَ} وجواب القسم{ تِلْكَ} هي{ آيَاتُ} وبراهين وعِبَر{ الْكِتَابِ} من قبل، كالتوراة والإنجيل وغيرها{ وَ} هي كذلك آيات{ قُرْآنٍ مُّبِينٍ} لكل ما اختلف فيه من شرائع وأحكام وقَصص{ رُبَمَا} يقينًا{ يَوَدُّ} ويتمنى{ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ} إذا بُعثر ما في القبور، ف{ ذَرْهُمْ} في الدنيا

واتركهم{ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ} الخادع{ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} يقينًا عقوبة كفرهم، وحقيقة يوم الدين، وما أنت عليهم بوكيل.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم{ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ} وموعدٌ وأجلٌ مسمى{ مَّعْلُومٌ} فـ{ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ} أبدًا{ أَجَلَهَا} ويوم نشأتها{ وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} عنه، ثمّ ذكر تعالى تعنت الأقوام الكافرة قائلًا:{ وَقَالُواْ} مستخفّين برسلهم{ يَا أَيُّهَا} الرسول{ الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ} والكتاب{ إِنَّكَ} حقًا{ لَمَجْنُونٌ} وقالوا شاكّين مرتابين:{ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاۤئِكَةِ} تشهد لك{ إِن كُنتَ} حقًا{ مِنَ الصَّادِقِينَ} فردّ تعالى عليهم قائلًا:{ مَا نُنَزِّلُ الْمَلاۤئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ} وبهلاكهم الذي ينكرون{ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ} ولا مُؤخرين ولا مُؤجّلين.

ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ إِنَّا نَحْنُ} سبحانه وتعالى{ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} أي القرآن العزيز{ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} من النسيان والتحريف{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ} رُسلًا{ فِى شِيَعِ} وأمم{ الأَوَّلِينَ} المهلكين{ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ} يسخرون و{ يَسْتَهْزِئُونَ} و{ كَذَلِكَ} بِسَنَنِنا{ نَسْلُكُهُ} ونجعله سهلًا{ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ

أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴿٣٧﴾ فـ{ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} أي بالقرآن أبدًا لعنادهم واستكبارهم{ وَقَدْ خَلَتْ} ومضت{ سُنَّةُ} وجزاءات{ الأَوَّلِينَ} بهلاكهم، ثمّ أشار تعالى إلى استحالة إيمانهم قائلًا:{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ} ليؤمنوا{ فَظَلُّواْ فِيهِ} نهارًا{ يَعْرُجُونَ} في السماء ويرتقون{ لَقَالُواْ} منكرين{ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} فما رأينا شيئًا{ بَلْ} الحقُّ{ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} بما شاهدنا ورأينا.

ثمّ أثبت تعالى تعنُّتهم ونكرانُهم للآيات التي ينظرون فقال أولًا:{ وَلَقَدْ جَعَلْنَا} من إبداع وإتقان خلقنا{ فِي السَّمَاء بُرُوجاً} اثنى عشر، وهي الحمل، والثور، والتوأمان، والسرطان، والأسد، والعذراء، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وجمعت شعرًا، حمل الثور جوزة السرطان، ورعى الليث سنبل الميزان، ورمى عقربٌ بقوس لجديٍ، ونزح الدلو بركة الحيتان، ثانيًا{ وَزَيَّنَّاهَا} بالكواكب والنجوم بهجةً{ لِلنَّاظِرِينَ}{ وَحَفِظْنَاهَا مِن} سماع{ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ} كقوله تعالى في سورة الجن:{ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا}﴿٩﴾ ثمّ استثنى تعالى وقال:{ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ} منهم{ فَأَتْبَعَهُ} ورماه{ شِهَابٌ} واضح{ مُّبِينٌ} ثالثًا:{ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} ليسيروا فيها، رابعًا:{ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} لئلا ترجف بهم، خامسًا:{ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ} بقدرٍ{ مَّوْزُونٍ}

سادسًا:{ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} وأرزاقً في البر والبحر{ وَمَن لَّسْتُمْ} أنتم{ لَهُ بِرَازِقِينَ} كالنباتات والأسماك والحيوان والطيور والحشرات وغيرها، ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَإِن مِّن شَيْءٍ} علمتموه أو جهلتموه{ إِلاَّ} و{ عِندَنَا} مالكين{ خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ} بأمرنا و{ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} سابعًا:{ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} للنباتات وتأليف السحاب كقوله تعالى في سورة النور:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ...}﴿٤٣﴾ { فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} في أجسامكم، ولا في الأرض، وتصبُّه الأنهار في البحر، ثامنًا:{ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ} ما نشاء{ وَنَحْنُ} لما في الأرض والسماوات{ الْوَارِثُونَ}{ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ} أفرادًا وأممًا{ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} أمّة بعد أمّة{ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ} جميعًا ليوم القيامة{ إِنَّهُ} تعالى{ حَكِيمٌ} فيما يَقضي من أمور ويُمضي من سنن{ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ} كالفخار{ مِّنْ حَمَإٍ} وطينٍ أسودٍ{ مَّسْنُونٍ} كما وردت المعاني في معاجم اللغات{ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ} الناس{ مِن نَّارِ} ونفح{ السَّمُومِ} الحار.

الملخص: -

أقسم تعالى بآيات الكتاب والقرآن المبين، وردّ على جدل الكفّار، وأشار إلى إبداع خلقه ونعمه، وأكّد حشر الناس وحسابهم، وأنّ الجان خُلق قبل الإنس.

(٢٨-٥٠) التذكير بعداء إبليس لآدم (عس) وذريته، وتعهده بإضلالهم، وإمهاله ليوم الدين، وتأكيد أنّه تعالى الغفور الرحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ

مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴿٥٠﴾

ذكَّر تعالى بعداء إبليس لآدم (ع‌س) بسبب استخلافه في الأرض بدل الجِن قائلًا:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً} بِيَدَيَّ{ مِّن صَلْصَالٍ} كالفخّار{ مِّنْ حَمَإٍ} ساخنٍ وطين أسود{ مَّسْنُونٍ}{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ} وعدلته سويًا سليمًا{ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى} وكان حيًا{ فَقَعُواْ} مُذعنين طائعين{ لَهُ سَاجِدِينَ}{ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}{ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى} وعصى مستكبرًا مستعليًا{ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} فـ{ قَالَ} تعالى سائِله، وهو أعلم بما في نفسه{ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} إذ أمرتك، والغاية من السؤال استنطاق إبليس ليُفصِح عن عداوته للناس، فـ{ قَالَ} مستصغرًا المادة التي خُلِقَ منها آدم(ع‌س){ لَمْ أَكُن} ولا ينبغي{ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} ومن الأسباب التي دعت إبليس للعصيان أنّ استخلاف آدم (ع‌س) في الأرض يعني انتهاء بِعثة الرُّسل للجن، وتَبعِيَّتُهم لِرسل الإنس، كما أشار تعالى لذلك في سورة الأحقاف حيث قال:{ وَإِذْ

صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ }٣٢.

فأمر تعالى و{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا} أي من تلك الجنة التي كان فيها ذلك الحدث، وليست جنّة الآخرة، لأنّ إبليس لن يدخلها، فقال تعالى:{ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} بالشهب في السماء، وبالحجارة في الحج، وفي جهنم{ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ} والطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا{ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} فـ{ قَالَ} متوعدًا{ رَبِّ فَأَنظِرْنِي} حيًا{ إِلَى يَوْمِ} القيامة الذي فيه{ يُبْعَثُونَ} فـ{ قَالَ} تعالى{ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} لأجلك المحتوم، فـ{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} واستدرَجتَنِي، كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ}١٨٢ فـ{ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ} الكفر والشرك والعصيان{ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} عن صراطك المستقيم{ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} فلا قدرة لي عليهم، فـ{ قَالَ} تعالى{ هَذَا صِرَاطٌ} وقسمٌ

وعهدٌ{ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} فـ{ إِنَّ عِبَادِى} المُخلَصِين{ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} أبدًا ولا قدةٌ ولا حيلةٌ{ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ} بمحض إرادته{ مِنَ الْغَاوِينَ} الضالين{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}{ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} كلٌ بدرجة غوايته وسوء عمله.

ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ} يوم القيامة{ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} مُرَحبًا بهم قيلًا:{ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ} من الله{ آمِنِينَ} مطمئنين، ثمّ عدد تعالى نِعمًا أخرى منحها لهم وقال:{ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ} وبغضٍ وحسدٍ، فأصبحوا{ إِخْوَاناً} متحابين و{ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} ثانيًا:{ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ} ولا تعبٌ ولا همٌ ولا غمٌ{ وَمَا هُم مِّنْهَا} أبدًا{ بِمُخْرَجِينَ} فـ{ نَبِّئْ} ونبؤا{ عِبَادِى} العاصين{ أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ} لذنوب التائبين المنيبين، وهو تعالى الراحم{ الرَّحِيمُ} لعباده المؤمنين{ وَ} نبؤهم بـ{ أَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ} الموجع{ الأَلِيمَ}.

الملخص: –

ذكَّر تعالى بعداء إبليس لآدم (ع‌س) وذريته، وإمهاله ليوم الدين، وتعهده بإضلال الناس، وتأكيد أنّه تعالى الغفور الرحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم.

(٥١-٧٧) الإشارة إلى حوار إبراهيم (عس) مع الملائكة المرسلون، وتبشيره بإسحاق (عس) وتوَعُّدِهم بإهلاك قوم لوط (عس) وامرأته.

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾

فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

أخبر تعالى رسوله ﷺ عن ضيف إبراهيم (عس) من الملائكة قائلًا:{ وَنَبِّئْهُمْ} أي قومَك وأمتَك{ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ}(عس) { إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً} وبُشرى فـ{ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ} خائفون، إذ لم يَطعَمُوا العجل المشوي الحنيذ، فـ{ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ} ولا تخف{ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ} أي بإسحاق (عس) { عَلِيمٍ} وذلك من بعد إسماعيل(عس) فـ{ قَالَ} متعجبًا{ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ} وبلغني{ الْكِبَرُ} وأصبحت شيخًا وامرأتي عاقر{ فَبِمَ} وكيف{ تُبَشِّرُونَ} فـ{ قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ} من ربك{ فَلاَ تَكُن} اليوم{ مِّنَ الْقَانِطِينَ} اليائسين، فـ{ قَالَ} جازمًا مؤكدًا{ وَمَن يَقْنَطُ} ويأس{ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ ٱلضَّآلُّونَ} ثمّ أردف و{ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ} وما شأنكم إذًا{ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ} فـ{ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا} بعذابٍ{ إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ}{ إِلاَّ آلَ لُوطٍ} ومن معه من المؤمنين فـ{ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ} واستثنوا وقالوا:{ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا} في قضاء الله تعالى{ لَمِنَ} الأمم المهلكين{ الْغَابِرِينَ}.

وسبب اقتران حديث لوط (عس) بإبراهيم (عس) هجرته معه من بابل إلى الشام لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ

إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}﴿٢٦﴾ وذلك بعد أن جعل تعالى النار بردًا وسلامًا عليه{ فَلَمَّا جَاء} ووصل{ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ} بصورة ولدان حسان{ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ} خوفًا من سوء فِعال قومه لقوله تعالى في سورة هود:{ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}﴿٧٧﴾ فـ{ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ} بهلاك قومك و{ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ} ويُكذِّبون{ وَأَتَيْنَاكَ} من ربنا{ بَالْحَقِّ} لزوالهم{ وَإِنَّا} قطعًا{ لَصَادِقُونَ}{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ} المؤمنين من قومك{ بِقِطْعٍ} وظُلمَةٍ{ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ} وآخِرَهم{ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ} إلى قرى القوم الظالمون{ وَامْضُواْ} ماشين في طريقكم{ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} ثمّ قال تعالى:{ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ} أي وأخبرناه أنّ من سننا وجزاءاتنا إهلاك القوم المجرمين المكذِّبين، وأنّ{ ذَلِكَ الأَمْرَ} لا رجعة فيه و{ أَنَّ دَابِرَ} وخاتمة{ هَؤُلاء} القوم{ مَقْطُوعٌ} نَسلُهم وخبرهم{ مُّصْبِحِينَ}.

{ وَ} لمّا علم قومه بضيفه (ع س){ جَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} فـ{ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ} بسوء فعالكم وفُحشِكم الذي ما سبقكم به من أحد من العالمين{ وَاتَّقُوا} عقوبة وعذاب{ اللَّه} ربكم{ وَلاَ تُخْزُونِ} في ضيفي، فـ{ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ} ضيافة أحدٍ من{ الْعَالَمِينَ} فـ{ قَالَ} لهم

خشية العار والفضيحة{ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} فأقسم تعالى لرسوله ﷺ قائلًا:{ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ} وسكرة فُحشهم{ يَعْمَهُونَ} ويَضِلُّون{ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ} مصبحين{ فَجَعَلْنَا}ها هلاكا حتى أصبح{ عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً} ملتهبة لا انقطاع لها{ مِّن سِجِّيلٍ} كالدلو العظيم فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} وعِبر بنجاة المؤمنين وإهلاك الظالمين{ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} المعتبرين{ وَإِنَّهَا} أي قرى قوم لوط{ لَبِسَبِيلٍ} وطريق غير مطموس{ مُّقِيمٍ} فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} الجزاء والعذاب{ لَآيَةً} ودليل وبرهان بالنّجاة{ لِّلْمُؤْمِنِينَ} المتقين.

ومن المعلوم أنّ سيئات قوم لوط تتعاظم عليهم إلى قيام الساعة، لأنهم أوّل من اقترف وسنّ تلك الفاحشة، لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن جرير بن عبد الله (ر ع): قال رسول الله ﷺ:" لا يَسُنُّ عبدٌ سُنَّةً صالحةً يُعمل بها من بعده، إلا كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيء، ولا يَسَن عبدٌ سنَّةَ سُوءٍ يعمل بها من بعده، إلا كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء".

الملخص: –

أشار تعالى إلى حوار إبراهيم (ع‌س) مع الملائكة المرسلين، وبشروه بإسحاق (ع‌س) وتوعَّدُوا بإهلاك قوم الوط (ع‌س) وامرأته.

(٧٨-٩٩) ضرب المثل لسننه تعالى في بعض الأمم المعرضة كأصحاب الأيكة والحِجر، والأمر بالالتزام بالوصايا السبع وبالقرآن العظيم.

وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

اختتم تعالى سورة الحِجر بضرب المثل للأقوام الظالمة فقال:{ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ} أي أصحاب البساتين، وهم قوم مدين، ونبيّهم شعيب{ لَظَالِمِينَ} بإنقاصهم الكيل والميزان لقوله تعالى في سورة هود:{ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ}﴿٨٦﴾ فأبوا وعرضوا{ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ} بسننا وجزاءاتنا{ وَإِنَّهُمَا} أي مع قوم لوط كانوا{ لَبِإِمَامٍ} وطريق واضحة{ مُّبِينٍ} عند البحر الميت.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر فقال:{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} وهم قوم ثمود، وقال تعالى كذّبوا المرسلين لأن تكذيب رسولٍ واحد كتكذيب الرسل أجمعين، وذلك أنّ مُهمَّة الرُّسُل واحدة، قائمةً على توحيد الله تعالى، وإصلاح الفساد في الأرض{ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا} وبراهيننا، فأخرج تعالى لهم ناقَةً كما طلبوا من صخر الجبل الذي ينحتون{ فَكَانُواْ

عَنْهَا مُعْرِضِينَ} كافرين{ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً} عسى أن يكونوا{ آمِنِينَ} مما حلّ بمن قبلهم من الأمم كقوم نوح وهود وغيرهم{ فَـ} لمّا كذّبوا صالحًا (ع‌س) وعزموا على الغدر به، وعقروا الناقة، وقالوا: ائتنا بما تعدنا إن كنت حقًا من الصادقين فـ{ أَخَذَتْهُمُ} صاعقة الرجفة و{ الصَّيْحَةُ} وحلّ بهم عذاب الهون{ مُصْبِحِينَ} أوّل النهار{ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم} ولم ينفعهم، ولم يدفع عنهم{ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} ويشيدون بِنَحت الجبال بيوتًا، فأهلك تعالى الجاحدين الظالمين، ونجّى المؤمنين.

ثمّ أشار تعالى إلى بعض آياته الواضحات للأنظار فقال:{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} وما فيهما{ إِلاَّ بِالْحَقِّ} فرفع تعالى السماوات، وجعل فيها بروجًا، وزينها بالنجومِ والكواكب للناظرين، وجعل في الأرض جبالًا رواسي للأرض، وأنزل الأمطار، وأجرى الأنهار، وانبت الزُّروع والأشجار والثمار، فجحدوا كل ذلك واستكبروا كُفرًا وعُتوًا.

ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ وَإِنَّ السَّاعَةَ} والبعث والحساب{ لَآتِيَةٌ} لا ريب ولا شكَّ فيهما{ فَاصْفَحِ} عن الناس{ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} لعلهم يتقون ويتوبون وينيبون، ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ إِنَّ رَبَّكَ} لَـ{ هُوَ الْخَلاَّقُ} لما في السماوات

والأرض من خلائق، وأعطى كلّ شيءٍ فيهما خَلْقَه ثمّ هده ليقوم بوظيفته في الكون{ الْعَلِيمُ} بكل شيء، ولا تخفى عليه خافية.

ثمّ أوصى تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بسبع وصايا للالتزام بها فقال:{ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي}{ وَ} كذلك{ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} وقد سمّى تعالى القرآن العزيز بالمثاني في قوله تعالى في سورة الزّمر:{ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ...}﴿٢٣﴾ وسمّاه تعالى مثاني لتكرر ذكر النِّعم التي لا تعد ولا تحصى، والعِبَر في نجاة المؤمنين وإهلاك الأقوام الكافرة.

ثمّ ذكر تعالى الوصايا السبع فقال أولًا:{ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} رغبةً{ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً} وبعضًا{ مِّنْهُمْ} من زينة الحياة الدنيا والأموال والأولاد، ثانيًا:{ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} لكفرهم وعنادهم وانشغالهم بالدنيا، ثالثًا:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} وألن جنابكم{ لِلْمُؤْمِنِينَ} مُتَغاضِيًا عن هفواتهم وسقطاتهم، رابعًا:{ وَقُلْ} للناس{ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ} من رب العالمين{ الْمُبِينُ} للحق والباطل، ولكل ما اختلف فيه{ كَمَا أَنزَلْنَا} من قبل{ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} أي وأنزلنا عليكم كما أنزلنا على اليهود والنصارى من قبلكم{ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} فآمنو ببعضه وكفروا ببعض، لصد الناس عن هدي الله تعالى{ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ}

يوم القيامة{ أَجْمَعِيْنَ} أفرادًا وأممًا{ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ويمكرون ويستهزؤون، خامسًا:{ فَاصْدَعْ} واجهر{ بِمَا تُؤْمَرُ} به من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وشرائع وأحكام، وادعوا الناس لدين الله تعالى والإيمان به، سادسًا:{ وَأَعْرِضْ عَنِ} أذى وجدل وحُجج{ الْمُشْرِكِينَ} فـ{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ} أذى ومَكر{ الْمُسْتَهْزِئِينَ} المشركين{ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ} يقينًا{ يَعْلَمُونَ} ويذوقون جزائهم كما مضت في الأولين، والعذاب المهين في الآخرة{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ} حُزنًا{ بِمَا يَقُولُونَ} ويفترون ويستهزؤون، سابعًا:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} دائمًا{ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} المذعنين المنيبين{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ} الحقّ{ الْيَقِينُ} في الأجل المسمى.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لسننه في الأمم المعرضة كأصحاب الأيكة والحِجر، وأمر بالالتزام بالوصايا السبع وبالقرآن العظيم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النحل ترتيبها (١٦) آياتها (١٢٨)

(١-١٨) تأكيد قيام الساعة، وتفصيل بعض آياته تعالى في تدبيره الكون لمصالح الناس، والاستنكار على شرك المشركين ودحض مزاعمهم.

أَتَىٰٓ أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّه لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

افتتح تعالى سورة النحل بالجَزمِ بقيام الساعة قائلًا:{ أَتَى أَمْرُ اللّهِ} للبعث والعرض، والحساب والميزان، والجنة والنَّار{ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ} واتقوا مخالفته ومعصيه، ثمّ نزّه تعالى ذاته العلية فقال:{ سُبْحَانَهُ} الذي تسبح له السماوات والأرض وما فيهما وبينهما، وإن من شيءٍ إلّا يسبح بحمده{ وَتَعَالَى} وتنزه وتقدس وتكبر وتطهر{ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

ثمّ أشار تعالى إلى بعض آياته الدلالة على ربوبيته وألوهيته فقال:{ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالْرُّوحِ} جبريل (ع‌س){ مِنْ أَمْرِهِ} ولا يكون شيئًا في الوجود إلّا بإذنه ومشيئته{ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} من المرسلين، والذين اصطفاهم بسابق علمه وعدله وحكمته، آمرًا إيّاهم{ أَنْ أَنذِرُواْ} النّاس جميعًا بأمور،

أوَّلها:{ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ} جلّ جلاله{ فَاتَّقُونِ} عقوبة الدنيا والآخرة، ثانيا: وبَيِّنوا لهم أنّه تعالى هو الذي{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ} جاعلًا فيها بُرُوجَها ونُجُومَها وكواكِبُها{ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} وجعل فيها جبالها وأنهارها وزروعها وثمارها، ثالثًا: وهو{ تَعَالَى} المُقدس المُعَظَّم المُنَزَّه{ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ويفترون، رابعًا: وأنّه تعالى هو الذي{ خَلَقَ الإِنسَانَ} في رحم أُمِّه{ مِن نُّطْفَةٍ} أمشاجًا من مني الرجل وبويضة المرأة فمزجهما{ فَإِذَا هُوَ} للأسف{ خَصِيمٌ} لله تعالى{ مُّبِينٌ} كُفرَه وجُحودَه، خامسًا:{ وَ} هو تعالى الذي خلق{ الأَنْعَامَ} الإبل والبقر والضأن والغنم وغيرها{ خَلَقَهَا لَكُمْ} ولمصالحكم{ فِيهَا دِفْءٌ} في جلودها{ وَمَنَافِعُ} كثيرةٌ لمعاشكم وأرزاقكم{ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} وتَطعَمُون{ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} وبهجة وسرور{ حِينَ تُرِيحُونَ} من سفركم{ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} في مراعيكم{ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ} وأمتِعتكم{ إِلَى بَلَدٍ} بعيدٍ{ لَّمْ تَكُونُواْ} بدونها{ بَالِغِيهِ} والوصُول إليه{ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ} وعظيم الجُهد، ف{ إِنَّ رَبَّكُمْ} بحسن تدبيره لكم{ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} سادسًا:{ وَ} خلق لمنافعكم{ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} وبهجة{ وَيَخْلُقُ} كثيرًا مِـ{ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} من خلائق في السماوات والأرض{ وَعَلَى اللّهِ} هدايتها و{ قَصْدُ السَّبِيلِ} برزقها وتكاثرها ومأواها، كقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَا مِن دَآبَّةٍ

فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴿٦﴾ { وَ} جعل بحكمته{ مِنْهَا جَآئِرٌۚ} مُفترِسٌ، ومُعتَدٍ على غيره{ وَلَوْ شَاء} تعالى{ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} إلى صراطه المستقيم، ولكن اقتضت حكمته الامتحان والتمحيص، سابعًا: و{ هُوَ} تعالى من إبداع وإتقان خلقه{ الَّذِى أَنزَلَ} لمصالحكم{ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ} ولأنعامكم{ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} وترعى مواشيكم{ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ} كلِّه{ لَأَيَةً} ودلائل على ربوبيته وعظيم إبداعه واتقانه وحُسن تدبيره{ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ثامنًا:{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ} مستراحًا{ وَالْنَّهَارَ} معاشًا{ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ} دائبةٌ لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، وهُنّ{ مُسَخَّرَاتٌ} لنفعكم و{ بِأَمْرِهِ} وإبداع تدبيره، فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} كُلِّه{ لَأَيَـٰتٍ} وبراهين لربوبيته ووحدانيته{ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويفهمون، تاسعًا:{ وَمَا ذَرَأَ} ونشر{ لَكُمْ فِي الأَرْضِ} من صنوف خلقه{ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ} فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً} وبراهين لربوبيته وإبداع خلقه{ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} ويؤمنون، عاشرًا:{ وَهُوَ} تعالى{ الَّذِى سَخَّرَ} لمنافعكم ومصالحكم{ الْبَحْرَ} بكل ما فيه{ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ} رزقًا و{ لَحْماً} غضًا{ طَرِيّاً} حسنًا سهلًا{ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} وزينة{ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ} سابحةً{ فِيهِ

وَلِتَبْتَغُواْ} أرزاقًا{ مِن فَضْلِهِ} وجوده وكرمه{ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} نِعمه وامتياز تدبيره، الحادي عشر:{ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ} جبالًا{ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ} أو تضطرب أو تَزَلزَل{ بِكُمْ} أو تنزلق على صهارة جوفها، الثاني عشر:{ وَ} جعل لكم في الأرض{ أَنْهَاراً} عذبةً{ وَسُبُلاً} طُرُقًا{ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} في سفركم وحيث ما تتوجهون، الثالث عشر:{ وَ} جعل لكم{ عَلامَاتٍ} في البر والبحر{ وَبِالنَّجْمِ} في الظلمات{ هُمْ يَهْتَدُونَ}.

ثمّ استنكر تعالى الإشراك به وعبادة غير فقال:{ أَفَـ} بعد ذلك كُلِّه يستوي عندهم{ مَن يَخْلُقُ} كلَّ شيءٍ{ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ} شيئًا أبدًا، لا يستوُن{ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} وتفهمون وتعقلون{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ} تعالى عليكم{ لاَ تُحْصُوهَا} ولا تعُدُّها، و{ إِنَّ اللَّه} تعالى{ لَغَفُورٌ} لمن تاب واستغفر وأناب{ رَّحِيمٌ} يرحم الراحمين.

الملخص: -

أكد تعالى قيام الساعة، وفصّل بعض آياته في تدبير الكون لمصالح الناس، واستنكر تعالى الإشراك به ودحض مزاعمهم.

(١٩-٣٢) التحذير بإحاطة علمه تعالى، ومن عواقب الشرك، وبيان جزاء المشركين والمتقين.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

حذَّرَ تعالى قائلًا:{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} فاحذروا معصيته وعقوبته التي لا تتخلف عن أحد، ثمّ أكَّدَ تعالى عجز ما يُشركون به فقال:{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً} أبدًا{ وَهُمْ يُخْلَقُونَ} بل هم{ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ} ولا يعرفون{ أَيَّانَ} ومتى{ يُبْعَثُونَ} فكيف يُعبَدُون؟

ثمّ جزم تعالى بألوهيته ووحدانيته وقال:{ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} لا شريك له{ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم} في الحقيقة{ مُّسْتَكْبِرُونَ} عن هدي الله تعالى وشرائعه{ لاَ جَرَمَ} ولا ضير فـ{ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ} تعالى{ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} فيجعل تعالى معيشتهم في الدنيا ضنكًا قاسية، ويَحشُرُهم صمًّا عميًا في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ والله لا يهدي القوم الكافرين، ويذرهم في طغيانهم يعمهون ويتخبطون{ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ} من هديٍ وآيات وسنن وبراهين{

قَالُواْ} تلك{ أَسَاطِيرُ} وخرافات{ الأَوَّلِينَ} الغابرين، فتوعدهم تعالى قائلًا:{ لِيَحْمِلُواْ} سيئات{ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} كما{ وَ} يحملون{ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ} في الدنيا، لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن جرير بن عبد الله (رلع): قال رسول الله ﷺ:" لا يَسُنُّ عبدٌ سُنَّةً صالحةً يُعمل بها من بعده، إلا كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيء، ولا يَسُن عبدٌ سنَّةَ سُوءٍ يعمل بها من بعده، إلا كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء"،{ أَلاَ سَاء} وخبث{ مَا يَزِرُونَ} من ذُنُوبٍ وآثام.

ثمّ بيّن تعالى عقوبة مكرهم واستكبارهم فقال:{ قَدْ مَكَرَ} بدين الله تعالى وشرائعه وبالمؤمنين{ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من الأمم{ فَأَتَى اللُّه بُنْيَانَهُم} وهدم ما شيدوا من نظريات، كما فعل بالرأس مالية والشيوعية والعلمانية وغيرهم{ مِّنَ الْقَوَاعِدِ} وأُسس مفاهيمهم{ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ} وانهارت نظرياتُهم{ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ} فتفككت مجتمعاتُهم وأُسَرِهِم، وفشت الجرائم في مجتمعاتهم{ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} ولم يخطر لهم بال{ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ} تعالى بجرمهم{ وَيَقُولُ} لهم مستنكرًا:{ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ} وتجادلون عنهم؟ و{ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْىَ} والذِّل{

الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ} والمهانة{ عَلَى الْكَافِرِينَ} فهم{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ} قابضةً أرواحهم، و{ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ} بكفرهم واستكبارهم{ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ} والعُذر قائلين:{ مَا كُنَّا} في الدنيا{ نَعْمَلُ مِن سُوءٍ} فيقال لهم:{ بَلَى} فعلتم، و{ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وتستكبرون{ فَادْخُلُواْ} اليوم{ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} كلًا بدرجة واستكباره وإعراضه عن هدي الله تعالى{ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ} ولَخِزيَ ولَمهانَة{ مَثْوَى} ومُستقر{ الْمُتَكَبّرِينَ} المتعالين{ وَقِيلَ} في المقابل{ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ} فـ{ قَالُواْ} أنزل{ خَيْراً} ورشادًا، فـ{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} ولا ضلال ولا شقاء، لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ}﴿١٢٣﴾ { وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ} من ذلك، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد تعالى إلى ما يشاء بعدله{ وَلَنِعْمَ} ولفوز ولكرمة{ دَارُ الْمُتَّقِينَ} فلهم{ جَنَّاتُ عَدْنٍ} التي وُعدوا{ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا} ومن جنباتها{ الأَنْهَارُ} و{ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ} ويرغبون، فـ{ كَذَلِكَ يَجْزِى اللَّه} تعالى{ الْمُتَّقِينَ} المحسنين، فهم{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيّبِينَ} فرحين مسرورين{ يَقُولُونَ} لهم{ سَلامٌ} دائمًا وبهجةٌ وسُرورًا{ عَلَيْكُمُ} فـ{ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ} جزاء وفاقً{ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وتتقون.

الملخص: -

حذَّر تعالى من إحاطة علمه، ومن عواقب الشرك، وبيّن جزاء المشركين والمتقين.

(٣٣-٤٢) تَوَعُّد المعرضين عن هدي الله تعالى، وأبطال حججهم، وبيان عقوبتهم، والإشادة بثبات المهاجرين وبيان جزائهم.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّه وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّه مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّه وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّه وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّه لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّه مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

توعد تعالى استكبار الكافرين قائلًا:{ هَلْ يَنظُرُونَ} وهل ينتظرون{ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ} بعذاب لإهلاكهم{ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ} بقيام الساعة، فـ{ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من الأمم الغابرة كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم{ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ} بِتدميرهم{ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} باستكبارهم وعصيانهم{ فَأَصَابَهُمْ} في الدنيا{ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ} وحلَّ ونزل{ بِهِم} عقوبة{ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ويسخرون.

ثم أنكر تعالى سُوء رأيهم فقال:{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ} وهم المصِّرون على شركهم، وترك شرائع الله تعالى واتباع ما تهوى أنفُسُهم، من سننه تعالى أن يذرهم في طغيانهم يعمهون لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ}﴿١٨٦﴾ ولو شاء تعالى لهدى الناس أجمعين، ولكن اقتضت حكمته تعالى التمحيص ليتميز الصادقين عن الكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ

فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴿٤﴾ و{ كَذَلِكَ فَعَلَ} وادعى {الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ} من واجب{ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ} وقد نصحوا وبلَّغوكم، ولكن ما يزيدهم النذير إلّا نفورًا .

ثمّ أَكَّد تعالى وقال:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا} وأرسلنا{ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً} يأمُرهم{ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّه} تعالى وتمسَّكوا بدينه وشرائعه{ وَاجْتَنِبُواْ} واتركوا شرائع{ الطَّاغُوتَ} المتعالين على شرائع الله تعالى{ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللُّه} بندمه وتوبته{ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ} ووجبت{ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ} لإصراره على كفره لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ { فَسِيرُواْ} أيها الناس{ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} وجزاء{ الْمُكَذِّبِينَ} من الأقوام على مرِّ التاريخ.

ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ} وتبذل قُصارى جهدك{ فَإِنَّ اللَّه} أبدًا{ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ} لإعراضه واستكباره{ وَمَا لَهُم} في الآخرة{ مِّن نَّاصِرِينَ} من عذاب مُقِيم{ وَ} قد{ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ} وقُصارى{ أَيْمَانِهِمْ} أنّه{ لاَ يَبْعَثُ اللُّه} أبدًا{ مَن يَمُوتُ} فكذّبهم تعالى قائلًا:{ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ

حَقّاً} لا مفرَّ منه{ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ولا يؤمنون، بل يبعثُهم تعالى{ لِيُبَيّنَ لَهُمُ} الحقّ في كلّ{ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ} أوّلًا، ثانيًا:{ وَلِيَعْلَمَ} وليتيقن{ الَّذِينَ كَفَرُواْ} بـ{ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ} فيما يدَّعون ويفترون، ثمّ أكَّد تعالى مُضِي مُراده وتدبيره فقال:{ إِنَّمَا قَوْلُنَا} وأمرنا{ لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}.

ثمّ بيّن تعالى جزاء المهاجرين في سبيله فقال:{ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى اللّهِ} وفي سبيل إقامة دينه في الأرض{ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ} وقُهروا وأُوذوا واستُضعِفُوا{ لَنُبَوّئَنَّهُمْ} ولنَمنَحهُم ولنَهَبَهُم{ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً} لقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ وَلأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ} وأعظم{ لَوْ كَانُواْ} أي الكافرون حقًا{ يَعْلَمُونَ} ثمّ قال عن المؤمنين: فهم{ الَّذِينَ صَبَرُواْ} في الدنيا{ وَعَلَى رَبّهِمْ} يعتمدون و{ يَتَوَكَّلُونَ} وينيبون ويرجعون.

الملخص: –

تَوَعَّدَ تعالى المستكبرين المعرضين عن هديه، وبيَّن عقوبتهم، وأبطل حججهم، وبيّن سننه فيهم، وأَشاد بثبات المهاجرين وبيّن جزائهم.

(٤٣-٥٩) بيان صفات الرسل والغاية من التنزيل، والتحذير من سننه تعالى، وبيان بعض آياته، والاستنكار على تشريعات الكافرين.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَـئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَا

آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

ردّ تعالى على كفّار مكة قولهم: أبعث الله بشرًا رسولًا يأكل، ويشرب، وترك الملائكة؟ كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان فقال تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً} لا ملائكة{ نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ} الذين أنزل عليهم الكتاب من قبل كاليهود والنصارى{ إِن كُنتُمْ} يا كفَّار العرب{ لاَ تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات والأدلة والبراهين{ وَالزُّبُرِ} أي الكتب التي أنزلت من قبل كالزبور والتوراة والإنجيل{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ} أي القرآن العزيز{ لِتُبَيّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} من قيَم شرائع وأحكام وسُنن وعِبر{ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ويؤمنون.

ثمّ ذكّر تعالى بسننه وجزاءاته فيمن قَبل قائلًا:{ أَفَأَمِنَ} واطمئن{ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ} وكذّبوا الرُّسُل واستكبروا وعصوا{ أَن يَخْسِفَ اللَّه بِهِمُ الأَرْضَ} كما فُعِل بقارون وقوم لوط{ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ} بغتةً كما أتى قوم

نوح وعاد وثمود{ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} أو هم نائمون{ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ} في الأرض طالبين لأرزاقهم{ فَمَا هُم} أبدًا{ بِمُعْجِزِينَ} ولا خارقين لقدرته تعالى{ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} بعد توعدهم بنزول العذاب{ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ} فهيئا ودبر الأرزاق من السماوات والأرض{ رَّحِيمٌ} لا يعاجل بالعقوبة.

ثمّ استنكر تعالى كفرُهم وإعراضُهم فقال:{ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى} الآيات والبراهين فيـ{ مَا خَلَقَ اللُّه مِن شَىْءٍ} في السماوات وفي الأرض، ولما له ظِل، فهم{ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ} مستترين من حرِّ الشمس{ عَنِ الْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ} ضحًا وظهرًا وقبل الغروب{ سُجَّداً} مطيعةً مؤتمرةً{ لِلّهِ} ومشيئته{ وَهُمْ دَاخِرُونَ} طائعون مستجيبون{ وَلِلّهِ يَسْجُدُ} وينقاد لنواميسه تعالى كل{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من ملائكة ومجرات وبروج ونجوم وكواكب{ وَمَا فِي الأَرْضِ} من جبال وأنهار وزروع وثمار، وما فيهما{ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰئِكَةُ وَهُمْ} دائمًا وأبدًا{ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} ولا يعرضون، فهم{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} دائما وأبدًا{ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.

ثمّ ذكّر تعالى بألوهيته ووحدانيته{ وَقَالَ اللُّه لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ} ولا أكثر فـ{ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} له الخلق والأمر، وأعطى كل شيءٍ خلقه ثمّ

هداه ليقوم بوظيفته، ولا يكون شيء في الكون إلّا بأمره وإذنه، وسننه وجزاءاتُه ماضية في خلقه لا تتخلف عن أحد{ فَإِيَّايَ} وحدي{ فَارْهَبُونِ} وخافون واتقون{ وَلَهُ} تعالى مُلك{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من ملائكة ودواب ومجرات وبروج ونجوم وكواكب{ وَ} له تعالى مُلك ما في{ الأَرْضِ} وما فيها من دواب وجبال وأنهار وزروع وثمار وحيوان{ وَلَهُ} تعالى{ الدِّينُ} والحكم والتشريع{ وَاصِباً} تامًا لا إسهاب ولا تقصير ولا تفريط، ثمّ استنكر تعالى قائلًا:{ أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ} وتخافون وترهبون{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ} في السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما{ فَمِنَ اللّهِ} وحده وتدبيره{ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} وتفزعون وتهرعون، ثمّ استنكر تعالى قائلًا:{ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ} تعالى{ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ} وطائفة{ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} ثمّ حذّر تعالى وأنذر قائلًا:{ لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ} من نِعَم لا تعد ولا تحصى{ فَتَمَتَّعُواْ} في الدنيا{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} عقوبة شرككم في الدنيا والآخرة، ثانيًا{ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ} كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}﴿١٣٦﴾ ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ تَاللّهِ

لَتُسْأَلُنَّ} يوم القيامة{ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ} وتشركون، ثالثًا{ وَيَجْعَلُونَ} بشركهم{ لِلّهِ الْبَنَاتِ} اللاتي يكرهون{ سُبْحَانَهُ} وتعالى وتقدس وتنزه عمّا يزعمون{ وَلَهُم} ما يحبون و{ مَّا يَشْتَهُونَ} من البنين، رابعًا:{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِـ} المولود{ الأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ} طوال نهاره{ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ} مغمُومٌ حزينٌ مكربٌ{ يَتَوَارَى} مستترًا{ مِنَ الْقَوْمِ} حياءً{ مِن سُوءِ} وهوان{ مَا بُشِّرَ بِهِ} ثمّ استنكر فِعلَهم قائلًا:{ أَيُمْسِكُهُ} ويرضى به{ عَلَى هُونٍ} وذل وغم{ أَمْ يَدُسُّهُ} ويدفنه{ فِي التُّرَابِ} وأدًا{ أَلاَ} حقًا{ سَاء} وخَبُث{ مَا يَحْكُمُونَ} ويشرعون.

الملخص: -

بيّن تعالى صفات الرسل والغاية من التنزيل، وحذّر من سننه تعالى، وبيّن بعض آياته، واستنكر تشريعات الكافرين.

(٦٠-٧٠) المفاضلة بين الذين لا يؤمنون بالآخرة والمؤمنون بها، وبيان حِلمُه تعالى، وبعض نِعمه، وذكّر تعالى بطورٍ من أطوار النّاس.

لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ

أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللّه
أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ
فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ
تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى
رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللّه خَلَقَكُمْ
ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَىْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً
إِنَّ اللّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

فاضل تعالى بين الكافرين باليوم الآخرة والمؤمنين بها فقال:{ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ} من إفسادٍ في الأرض وإهلاك الحرث والنسل على مرِّ التاريخ{ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ} توجيهًا وقيمًا وحُكمًا وتشريعًا لإعمار الأرض وإغناء الحرث والنسل{ وَهُوَ} تعالى{ الْعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء،

الغالب في كل أسمائه وصفاته، الواحد الأحد الفرد الصمد لمصالح الناس{ الْحَكِيمُ} في كل أمره، وفيما يَقضي ويحكم ويشرِّع، وما يمضي من سنن.

ثمّ أشار تعالى إلى بعض لُطفه وحِلمه فقال:{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ} ويُجازي{ اللَّه} تعالى{ النَّاسَ بِظُلْمِهِم} وكفرهم واستكبارهم وعصيانهم في الدنيا لـ{ مَّا تَرَكَ} لهم{ عَلَيْهَا} أي على الأرض{ مِن دَآبَّةٍ} أليفها وَوَحْشِها، فمن أين يقتاتون ويرزقون{ وَلَـكِن} اقتضت حكمته أن{ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} عنده في أم الكتاب، لعلهم يتوبون ويؤمنون{ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً} ولا لحظة{ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} برهةً.

ثمّ استنكر على كفّار العرب قائلًا:{ وَيَجْعَلُونَ} وينسبون بشركهم{ لِلّهِ} الملائكة الإناث و{ مَا يَكْرَهُونَ} أولًا، ثانيًا:{ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ} بـ{ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} والنعيم في الآخرة{ لاَ جَرَمَ} ولا ضير، لكن الحقيقةُ{ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} سابقون مُقدمون، ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} وشركهم ومعاصيهم{ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ} في الدنيا ومغويهم{ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} مُهين في الآخرة. ثمّ بيّن تعالى الغاية من التنزيل فقال:{ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} أي القرآن العزيز{ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ} الحق في كل{ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ} من قِيم وأحكام

وشرائع{ وَهُدًى} للصراط المستقيم لنجاتهم في الدنيا والآخرة{ وَ} هو{ رَحْمَةً} وفوزًا وفلاحًا{ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

ثمّ ذكّر تعالى بعض آياته فقال:{ وَاللَّه أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} رزقًا ورحمةً{ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ} الميتة الجُرز{ بَعْدَ مَوْتِهَا} وذهاب كَلَئِها وثِمارِها، فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} التدبير{ لَآيَةً} ولطفًا وحجّةً ودليل وبرهان{ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ويؤمنون، ثانيًا:{ وَإِنَّ لَكُمْ} من ابداع خلقه{ فِي الأَنْعَامِ} من الإبل والبقر والضأن والغنم{ لَعِبْرَةً} فـ{ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ} نقيًا مستخلصًا{ مِن بَيْنِ فَرْثٍ} وقذرٍ وروثٍ{ وَدَمٍ} ليكون{ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغًا} حسنًا هنيئًا{ لِلشَّارِبِينَ} ثالثًا:{ وَ} أنبت لكم{ مِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ} فـ{ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً} خمرًا معصيةً{ وَرِزْقاً حَسَناً} هنيئًا سائغًا، فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} الأرزاق{ لَآيَةً} على اتقانه تعالى وحُسن تدبيره وفضله{ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ويتقون ويحسنون.

رابعًا: كما{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} آمرًا إيّاها{ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} ويبنون{ ثُمَّ كُلِي مِن} زهر{ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي} متتبعةً{ سُبُلَ} وطرق ووسائل{ رَبِّكِ} التي جبلها تعالى عليها{ ذُلُلاً} مطيعةً لأمر ربها، فـ{ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} بحسب نوع الزَّهر{ فِيهِ شِفَاء} ودواء{ لِلنَّاسِ} فـ{ إِنَّ فِي ذَلِكَ} الإبداع والتدبير{ لَآيَةً}

ودليل وبرهان على ربوبيته تعالى وتدبيره ووحدانيته{ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ويوقنون ويخشعون، ومن أبداع خلقه تعالى أن جعل معدة النحل شطران، أحدها لما تأكل، والأخرى لإعداد العسل، فيخرج تعالى العسل من بطونها، خامسًا:{ وَاللَّه خَلَقَكُمْ} من ذكر وأنثى كما بيّن لكم{ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ} في الأجل المسمى{ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ} وأسوء{ الْعُمُرِ} لبيان ضعفكم وعجزكم و{ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ} أبدًا{ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ} بكم، وبكل شيء{ قَدِيرٌ} فأطيعوه ولا تعصوه.

الملخص: -

فاضل تعالى بين الكافرين بالآخرة والمؤمنين بها، وأشار إلى بعض حِلمِه ونِعمِه لمصالح الناس، وذكّر تعالى بطورٍ من أطوار حياتهم.

(٧١-٨٣) الاستنكار على اتخاذ الشركاء، وضرب الأمثال لعظيم قدرته وعجز آلهتهم، وتأكيد استكبار المنكرين.

وَاللَّه فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّه جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً
وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ
اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ
سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللّهُ
جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

يستنكر تعالى جعل الشركاء أندادًا له تعالى بضرب الأمثال فقال أولًا:{ وَاللَّه فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ} من العلم والفهم والثروات والبنين وغير ذلك، وآلهتكم لا ترزُق شيئًا، وعاجزة عن التفاضل بينكم، ثانيًا:{ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ} بالأرزاق ورغد العيش{ بِرَآدِّى} وواهبي{ رِزْقِهِمْ} صدقةً وإحسانًا{ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} من المماليك{ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء} أي لتكونوا في الغنى مع مماليكهم سواء، فكيف تساوون بين مالك السماوات والأرض وما فيهما بمن لا يملك شيئًا؟{ أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ} الكثيرة{ يَجْحَدُونَ} وينكرون، رابعًا:{ وَاللَّه جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ} ومن جنسكم{ أَزْوَاجاً} وآلهتكم لم تَهَبَكُم شيئًا، خامسًا{ وَ} الله{ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً} وآلهتكم عاجزة أن تهبكم ذرية، خامسًا:{ وَرَزَقَكُم} تعالى{ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} وآلهتكم لا ترزقكم شيئًا{ أَفَبِالْبَاطِلِ} والأصنام والشركاء{ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ} الكثيرة{ هُمْ يَكْفُرُونَ} ويجحدون، سادسًا:{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً} { وَ} آلهتكم{ لاَ يَسْتَطِيعُونَ} رزقكم منهما

شيئًا{ فَلاَ تَضْرِبُواْ} ولا تجعلوا{ لِلّهِ الأَمْثَالَ} والشركاء فـ{ إِنَّ اللَّه يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.

سابعًا: ثم ضرب تعالى مثلًا من صنفٍ آخر لعجز آلهتهم فقال:{ ضَرَبَ اللَّه مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى} فعل{ شَىْءٍ} لمصلحة نفسه ولا لمصلحة سيده، كآلهتكم{ وَ} كيف يستوون مع{ مَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ} للمحتاجين{ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ} أبدًا لا يستوون{ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} الحق وفي ضلالهم يتخبطون، ثامنًا:{ وَضَرَبَ اللَّه مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ} كآلهتهم{ لاَ يَقْدِرُ عَلَى} الإفصاح عن{ شَىْءٍ}{ وَهُوَ كَلٌّ} وعبءٌ وعالةٌ{ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ} لمصلحةٍ{ لاَ يَأْتِ} أبدًا{ بِخَيْرٍ} فـ{ هَلْ يَسْتَوِى} عندكم{ هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} والقسط والقيم والإصلاح بين الناس{ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ} وهدًى ومنهج{ مُّسْتَقِيمٍ} تاسعًا:{ وَلِلّهِ} عِلمُ{ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وآلهتكم لا تعلم عنهما شيئًا، عاشرًا:{ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ} عنده تعالى وقيامها{ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} وليس لآلهتكم من الأمر من شيء، الحادي عاشر:{ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} ولا قدرة لآلهتكم، الثاني عشر:{ وَاللَّه} تعالى{ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً} البتة{ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ} فماذا جعلت لكم آلهتكم التي تعبدون من دون الله؟ الثالث عشر :{ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ} سابحةٍ{ فِى جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّه} بإبداع واتقان خلقه، وآلهتكم لا تخلق شيئًا{ إِنَّ فِى ذَلِكَ} كُلِّه{ لَآيَـٰتٍ} ودلائل وبراهين على عجز آلتكم، وعظيم قدرته تعالى وإتقانه وتدبيره{ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ويتقون، الرابع عشر :{ وَاللَّه} تعالى{ جَعَلَ} بتدبيره{ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً} خيامًا{ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ} ولسفركم{ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ}{ وَ} لتتخذوا{ مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً} وفُرُشًا{ وَمَتَاعاً} تتنعمون به{ إِلَى حِينٍ} فما عسى أن تهبكم آلهتكم؟ الخامس عاشر :{ وَاللَّه جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً} تستظلون بها من حرِّ الشمس، وآلهتكم لا تمنحكم ظلالًا، السادس عشر :{ وَ} الله تعالى{ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً} وكهوف ومخابئ، السابع عشر :{ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ} وأثوابًا من القطن وغيره{ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ} دروعًا{ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ} وقتالكم وجَلَدِكم{ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} وتؤمنون{ فَإِن تَوَلَّوْاْ} وأعرضوا واستكبروا{ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ} الواضح{ الْمُبِينُ} والحقيقة أنهم{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ} تعالى التي لا تعد ولا تحصى{ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} علوًا واستكبارًا{ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} الجاحدون.

الملخص: -

استنكر تعالى اتخاذ الشركاء، وضرب الأمثال لعظيم قدرته وعجز آلهتهم، وتأكيد تعالى استكبار المنكرين.

(٨٤-٩٧) التحذير من يوم البعث، وخذلان آلهة المشركين لهم، وبيان عقوبتهم، والحضّ على التمسك بشرعه تعالى وهديه.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّه عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلاَ

تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ
بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ
ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

يحذِّر تعالى من البعث قائلًا:{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ} رسولهم{ شَهِيداً} عليهم{ ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ} ولا يسمح{ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} قولًا{ وَلاَ} عذرًا ولا{ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أو يتذرعون{ وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ} الذي يستحقون{ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} ولا يؤجلون{ وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ} التي يعبدون{ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَـ} خذلوهم و{ أَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} مفترون{ وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ

السَّلَمَ} والعذر والندم{ وَضَلَّ} وغاب{ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} ويكذبون، و{ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ} الناس{ عَن سَبِيلِ اللّهِ} ودينه{ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً} في جهنّم{ فَوْقَ الْعَذَابِ} الذي يستحقون{ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ} ويصدُّون الناس عن الدين{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ} رسولهم{ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ} وبلغتهم{ وَجِئْنَا بِكَ} ﷺ{ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء} المؤمنين من أمتك ومن كفر أو أشرك أو نافق{ وَ} قد{ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} والقرآن العزيز{ تِبْيَاناً} وتفصيلًا{ لِّكُلِّ شَيْءٍ} يصلح دنياهم وآخرتهم{ وَهُدًى} ورشادًا{ وَرَحْمَةً} بينهم{ وَبُشْرَى} للدنيا والآخرة{ لِلْمُسْلِمِينَ}.

ثمّ بيّن تعالى بعضًا من هديه قائلًا:{ إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ} أوّلًا:{ بِـ} إقامة{ الْعَدْلِ} بين النّاس، ثانيًا:{ وَالإِحْسَانِ} إليهم، ثالثًا:{ وَإِيتَاء} الصدقات لـ{ ذِى الْقُرْبَى} وللأرحام، رابعًا:{ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء} كالزنى واللواط وما في حكمهما{ وَالْمُنكَرِ} الذي أنكره تعالى، خامسًا:{ وَالْبَغْيِ} على حقوق النّاس{ يَعِظُكُمْ} نصحًا{ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} كقوله تعالى في سورة الأنعام:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ
حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ
وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}١٥٣ سادسًا:{
وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ} سابعًا:{ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ} والعهود والمواثيق{
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} وضمانها{ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّه عَلَيْكُمْ كَفِيلاً} وشهيدًا، فـ{ إِنَّ
اللَّه يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}.

ثامنًا:{ وَلاَ تَكُونُواْ كَ} خرقاء مكة{ الَّتِي نَقَضَتْ} وفتلت{ غَزْلَهَا مِن
بَعْدِ} جمعٍ وإحكام و{ قُوَّةٍ} لترجعوا{ أَنكَاثاً} وفرقًا وشيعًا وأحزابًا{ تَتَّخِذُونَ
أَيْمَانَكُمْ} وعهودكم ومواثيقكم{ دَخَلاً} وجورًا ووقيعةً وخديعةً{ بَيْنَكُمْ أَن
تَكُونَ} أي حتى ولو تكون{ أُمَّةٌ} وجماعةٌ منكم{ هِيَ أَرْبَى} وأقوى وأعز
وأرفع شأنًا{ مِنْ أُمَّةٍ} منكم{ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّه} ويمتحنكم{ بِهِ} وبما حباكم به
من عزَّةٍ ورفعةٍ{ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} وتتقاتلون
من أجله{ وَلَوْ شَاء اللَّه لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} مجتمعة{ وَلكِن يُضِلُّ} تعالى{
مَن يَشَاءُ} بسوء نواياه ومقاصده{ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ} بحُسن نواياه وأفعاله{

وَلَتُسْأَلُنَّ} يوم القيامة{ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} تاسعًا:{ وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ} وعهودكم{ دَخَلاً} وجورًا ووقيعةً{ بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ} وتنزلق عن الإيمان{ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} على الدين{ وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ} والعقوبة في الدنيا{ بِمَا صَدَدتُّمْ} وأعرضتم{ عَن سَبِيلِ اللّهِ} وهديه{ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} في الآخرة.

عاشرًا:{ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} من الدنيا ومتاعها، و{ إِنَّمَا عِندَ اللّهِ} من جزاء{ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ} حقًا{ تَعْلَمُونَ} وتؤمنون، فـ{ مَا عِندَكُمْ} من نعيم في الدنيا{ يَنفَدُ} ويذهبُ{ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ} أبدًا، ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم} على بلائهم{ بِأَحْسَنِ} وأفضل{ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} فـ{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} في الدنيا{ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم} في الآخرة{ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

الملخص: -

حذَّر تعالى من هول يوم البعث، وخذلان آلهة المشركين لهم، وبيَّن عقوبتهم، وحضّ المؤمنين على التمسك بشرعه وهديه وحُكمِه.

(٩٨-١١٣) الحضّ عند قراءة القرآن بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وتأكيد سلطانه على أوليائه، وإقرار هجرة المتخلفين، وضرب المثل لمن كفر من مكّة.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ

رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾

يوجِّه تعالى عباده المؤمنين عند قراءة القرآن العزيز قائلًا:{ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} وهو المرجوم في السماوات بالشهب عند استرقهم السمع، وعند الجمرات، وفي نار جهنّم، والملعون عند الله إلى يوم القيامة لعصيانه السجود لآدم (ع‌س) ثمّ أكَّد تعالى قائلًا:{ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} ولا قوة ولا قدرة ولا حيلة{ عَلَى الَّذِينَ} حقًا{ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ} دائمًا{ يَتَوَكَّلُونَ} ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ} وقدرته وحيلته{ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} ويتخذونه ناصرًا ومعينًا كالسحرة والمشركين{ وَ} عبدة الأوثان{ الَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} ويُلحدون{ وَإِذَا بَدَّلْنَا} حُكم{ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ} أُخرى{ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} من شرائع وأحكام{ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ} ومتقول على الله{ بَلْ} الحقيقة أنّ{ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} الحكمة والغاية من التنزيل، ولكن

غايتهم تبرير كفرهم وشركهم، فـ{ قُلْ} لهم{ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} جبريل (عس){ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}{ لِـ} أجل أن{ يُثَبِّتَ} إيمان{ الَّذِينَ آمَنُواْ} أوَّلًا{ وَهُدًى} لهم ثانيًا{ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} في الدنيا والآخرة ثالثًا، وما يبدل تعالى حُكم آيةٍ إلّا ويأتي بمثلها أو خيرٍ منها لقوله تعالى في سورة البقرة:{ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}﴿١٠٦﴾ فله تعالى الخلق والأمر.

ثمّ طمئن تعالى رسوله ﷺ بعلمه ما تكنّه صدور المشركين فقال:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} فردّ تعالى عليهم قائلًا:{ لِّسَانُ} ولغة{ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ} وينسبون له القول رُومي{ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا} القرآن العزيز بلغتكم{ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ} لا لبس فيه{ مُّبِينٌ} لكل ما اختلف فيه، ثمّ توعدهم تعالى بسننه وجزاءاته قائلًا:{ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللُّه} تعالى أبدًا لدينه في الدنيا{ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة، إلّا إذا تابوا وأنابوا.

ثمّ فضح تعالى المفترين قائلًا:{ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ} على الله تعالى{ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} حقًا{ بِـَٔايَـٰتِ اللّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} المفترون، ثمّ عرَّفهم تعالى قائلًا:{ مَن كَفَرَ بِاللّهِ} طوع نفسه{ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ} ويقينه

مُرتدًا عن الدين، ثمّ استثنى قائلًا:{ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ} على الكفر{ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ} عامرٌ{ بِالإِيمَانِ} كعمّار بن ياسر(ر ع) { وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً} ورِضًا وسرورًا{ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ} في الدنيا{ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} في الآخرة، وسبب افترائهم{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا} وزينتها وعروضها{ عَلَى} خلود{ ٱلْآخِرَةِ}{ وَأَنَّ اللَّه} من سننه أَن{ لاَ يَهْدِى} أبدًا{ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} فـ{ أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ} وختم{ اللُّه عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} الكفر فلا يخرج منها، ولا يدخلها إيمان, وذلك من اللعن{ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} عن مصلحة أنفسهم في الدنيا والآخرة، إلّا من تاب وأناب، فـ{ لاَ جَرَمَ} ولا ضير{ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ} مطلقًا{ ثُمَّ} أقرَّ تعالى هجرة المتخلفين قائلًا:{ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ} من مكّة{ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ} وأوذوا{ ثُمَّ جَاهَدُواْ} مع رسول الله ﷺ{ وَصَبَرُواْ} على ما يصيبهم{ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا} أي من بعد مُكثهم في مكّة أوّل الأمر{ لَغَفُورٌ} لهم{ رَّحِيمٌ} كقوله تعالى في سورة آل عمران:{... فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ}﴿١٩٥﴾ وذلك{ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ} من الإنس والجنّ{ تُجَادِلُ} وتدافع{ عَن نَّفْسِهَا} مبررةً

أعمالها{ وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ} جزاء{ مَّا عَمِلَتْ} في الدنيا{ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} في الآخرة فتيلًا ولا نقيرًا ولا قطميرًا.

ثمّ ضرب تعالى المثل لمن استكبر من قريش فقال:{ وَضَرَبَ اللَّه مَثَلاً قَرْيَةً} كمكّة المكرّمة{ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً} وفيرًا{ مِّن كُلِّ مَكَانٍ} بدعوة إبراهيم (ع‌س) لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ}﴿٣٥﴾ { فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ} بعد بعثته ﷺ{ فَأَذَاقَهَا اللَّه لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} من صدِّ الناس عن الدين{ وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ} ﷺ بلغتهم وحريصًا عليهم{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ} في الدنيا والآخرة{ وَهُمْ ظَالِمُونَ} بشركهم وبما كانوا يكيدون ويفترون.

الملخص: –

وجَّه تعالى المؤمنين بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، وأكَّد أنّ سلطانه على أوليائه، وأقرّ هجرة المتخلفين، وضرب المثل لكفّار مكّة.

(١١٤-١٢٨) بيان الحكم في الأطعمة، والتحذير من الكذب على الله، وتزكية إبراهيم(عس) والأمر بدعوة الناس، والحُكم بينهم بالعدل، والتزام الصبر.

فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

في ختام سورة النحل وجّه تعالى المؤمنين قائلًا:{ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ} التي لا تعد ولا تحصى{ إِن كُنتُمْ} حقًا{ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ثمّ حصر تعالى المحرمات لقلة عددها ويقين ضررها قائلًا:{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ} أوّلًا: لاحتوائها على الدم الذي يصل إلى كل خلايا الجسم، والدم ينقل الخلايا الميتة من الجسم إلى البراز، والتي تشكل ثلثه تقريبًا، كما ويحمل ثاني أكسيد الكربون الذي تتخلص منه الرئتان، والبولينا الذي تتخلص منه الكلى، والسموم التي يتخلص منها الكبد، وغير ذلك، فالدم مادة خصبة للجراثيم والبكتيريا والفيروسات خاصّة بعد الموت، ولذلك شرع تعالى ذبح الأنعام للتخلص من الدم، ثمّ قال تعالى:{ وَالْدَّمَ} ثانيًا، والله تعالى أعلم بما يُحرِّم{ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ} ثالثًا، كونه يتغذى على القذر، ونقله بعض أمراض الديدان كالخطافية والدبوسية ودودة الخنزير

الشريطية، ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عمر (رلع) قال:" نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجَلالَة والبانها"، والجلالة هي كل حيوان يتغذى على القذر كالخنزير، ثالثًا:{ وَمَا أُهِلَّ} وذبح{ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ} من أوثان، كونه شركًا بالله{ فَمَنِ اضْطُرَّ} لأكل شيء من ذلك{ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ} على شرع الله تعالى{ فَإِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ} رابعًا:{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ} باجتهادكم{ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ} ف{ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، كونه يوجب اللعن لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}﴿١٨﴾ فلا يحلُّ بيع الميتة ولا الدم إلَّا أن يُنتفع بجلدها، وليس ثَمنُه إلّا{ مَتَاعٌ قَلِيلٌ} في الدنيا{ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

ثمّ أشار تعالى إلى المحرمات على اليهود بسبب بغيهم عقوبة لهم فقال:{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ} أي في قوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ}﴿١٤٦﴾ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} بتحريم ذلك عليهم{

وَلَـٰكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بمعاصيهم، ثمّ عذر تعالى الجهل قائلًا:{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

ثمّ أشاد تعالى بإبراهيم (عس) قائلًا:{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} في دينه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ قَانِتاً} طائعًا خاضعًا{ لِلّهِ حَنِيفاً} متورعًا معرضًا عن كل مُحرم{ وَلَمْ يَكُ} أبدًا{ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} بل كان{ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ} واصطفاهُ تعالى بسابق علمه{ وَهَدَاهُ} تعالى{ إِلَى صِرَاطٍ} ودينٍ وشرعٍ سويٍ{ مُّسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً} كإسماعيل وإسحاق (عس){ وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} في جنّات النعيم{ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} وشرعنا لك ﷺ{ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ} وهدي ودين{ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} تاركًا كل شرك ومحذور{ وَمَا كَانَ} أبدًا{ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ثمّ أشار تعالى إلى سبب تحريم العمل يوم السبت على يهود فقال:{ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ} عقوبة فحُرِّم{ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ} وارتضوه بدل يوم الجمعة الذي ضلُّوا عنه{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} جزمًا{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ وأمته بتبليغ الدين فقال:{ ادْعُ} الناس{ إِلِى سَبِيلِ} ودين{ رَبِّكَ} أوّلًا:{ بِالْحِكْمَةِ} التي بثّها تعالى في القرآن

العزيز ، ثانيًا{ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} ثالثًا:{ وَجَادِلْهُم} وناقشهم{ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وأفضل{ إِنَّ رَبَّكَ} بسابق علمه{ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} استكبارًا وإعراضًا واستعلاءً{ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} رابعًا:{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} بعقوبةٍ{ فَعَاقِبُواْ} عدلًا وقسطًا{ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ}{ وَلَئِن صَبَرْتُمْ} على البلاء والشدّة{ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} في الدنيا والآخرة{ وَاصْبِرْ} على ما يصيبك{ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ} والاستعانة به{ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} لعنادهم واعراضهم{ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ} ولا حُزنٍ ولا أسًا{ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} فلا يحيق المكر السيء إلًا بأهله، ف{ إِنَّ اللَّه} أبدًا{ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} في دينهم من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات.

الملخص: -

بيّن تعالى الحكم في الأطعمة، وسبب تحريم السبت، وحذّر من الكذب عليه، وزكى مِلَّة إبراهيم، وأمر بدعوة الناس بالحكمة، والحُكمِ بالعدل، والتزام الصبر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإسراء ترتيبها (١٧) آياتها (١١١)

(١-١١) تأكيد الإسراء بالرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى، وإيتاء موسى (ع‌س) التوراة، وبيان قضائه تعالى لبني إسرائيل، وتأكيد أنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم.

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٓۥـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ

عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ۝١١

نزلت هذه الآيات من السورة قبل الهجرة وافتُتِحت بتمجيده تعالى قائلًا:{ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ} يسبح ويسجد له كل ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، وهو تعالى الذي{ أَسۡرَىٰ} وسار{ بِعَبۡدِهِۦ} محمد ﷺ على البراق{ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ} أوّل مسجدٍ وضع للنّاس{ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا} ثاني مسجد وضع للصلاة، لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي ذر (رلع) قال: سألت رسول الله ﷺ: أي مسجد وضع في الأرض أوَّل؟ قال:" المسجد الحرام " قلت: ثم أي؟ قال:" ثم المسجد الأقصى" قلت: كم بينهما؟ قال:" أربعون سنة" قلت: ثم أي؟ قال:" ثم حيثما أدركت الصلاة فصل، فكلها مسجد". وقد افتتح عمر بن الخطاب (رلع) القدس في العام السادس عشر من الهجرة، ثمّ وصف تعالى المسجد الأقصى قائلًا:{ ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ} بالأرزاق، ثمّ بين تعالى الغاية من الإسراء فقال:{ لِنُرِيَهُۥ} ﷺ{ مِنۡ} عظيم{ ءَايَٰتِنَآۚ} فـ{ إِنَّهُۥ} تعالى{ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} لكل ما في السماوات والأرض، لا تخفى أبدًا عليه خافية.

ثمّ قال تعالى:{ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ} أي التوراة{ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ} نأمرهم{ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا} إلّا إنَّهم في شك منه مُريب لقوله تعالى في سورة هود:{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ}﴿١١٠﴾ وأكَّد تعالى ذلك في سورة فصّلت قائلًا:{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ}﴿٤٥﴾ ثمّ نسب تعالى بني إسرائيل قائلًا:{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ} والذين كانوا أممًا لقوله تعالى في سورة هود:{ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}﴿٤٨﴾ ولقول تعالى في سورة يونس:{ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ}﴿٧٣﴾ فنسب إبراهيم (ع‌س) يعود إلى من حمل تعالى مع نوح (ع‌س) وقد بيّن تعالى أنهما ذريتان مختلفتان في قوله تعالى في سورة الحديد:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَۖ ...}﴿٢٦﴾ { إِنَّهُۥ} أي نوح(ع‌س){ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}.

ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ} أي في أم الكتاب{ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا} عارمًا{ كَبِيرًا} { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا}

أي الفساد الأول، الذي لم يأتي ولم يكن قبل نزول الآيات، وسمّاه تعالى فسادًا لكفرهم برسول الله ﷺ الذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، ثانيًا: نقضهم العهد العام الذي أخذه تعالى عليهم بالإيمان به ﷺ ونصره في سورة آل عمران آية ﴿٨١﴾ ثالثًا: نقضهم العهد الخاص الذي أُخذ عليهم على جبل الطور في سورة الأعراف آية ﴿١٥٧﴾ رابعًا: إقرارهم شرك قريش بقولهم أنهم أهدى منه ﷺ، خامسًا: نقضِهم صحيفة الموادعة للمدينة المنورة بتأليبهم الأحزاب على الرسول ﷺ وأصحابِه، فحلّت عليهم اللعنة بكفرهم وكذبهم لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}﴿١٨﴾ ثمّ قال تعالى:{ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ} أي محمد ﷺ والمهاجرين والأنصار{ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ} وطافوا{ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ} أي خلال حصون يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، حتى أجلاهم عمر (رلع) بأمر رسول الله من جزيرة العرب{ وَكَانَ وَعْدًا} مستقبلًا نافذًا{ مَّفْعُولًا} فمن قال أنّ الصحابة ارتدوا فقد كذّب الله تعالى وحلت عليه اللعنة{ ثُمَّ رَدَدْنَا} وأعدنا{ لَكُمُ} أي لبني إسرائيل{ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ} أي على المسلمين كما هو الحال{ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} فـ{ إِنْ أَحْسَنتُمْ} في علوّكم وآمنتم برسوله ﷺ فقد{ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ}

وكفرتم به ﷺ{ فَلَهَاۚ} وعليها{ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ} أي الفساد الثاني{ لِيَسُـُٔواْ} وليُخزوا{ وُجُوهَكُمۡ} أي بني إسرائيل{ وَلِيَدۡخُلُواْ} أي المسلمين{ ٱلۡمَسۡجِدَ} الأقصى{ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ} أي كما دخله عمر بن الخطاب (ر ع){ وَلِيُتَبِّرُواْ} وليَمحُوا وليُزيلوا كل{ مَا عَلَوۡاْ} وشيدوا من باطل{ تَتۡبِيرًا} تامًا، فذلك{ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ} يا بني إسرائيل{ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ} إن آمنتم وصدقتم برسوله ﷺ{ وَإِنۡ عُدتُّمۡ} للإفساد مرة أخرى{ عُدۡنَاۚ} في تدميركم{ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ} في الآخرة{ لِلۡكَٰفِرِينَ} برسوله ﷺ مأوًا ومنزلًا و{ حَصِيرًا}.

ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ} وأقسط وأعدل أولًا، ثانيًا{ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}﴿٩٧﴾ ثالثًا: و{ أَنَّ لَهُمۡ} في الآخرة{ أَجۡرٗا كَبِيرٗا} رابعًا:{ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا} وأعددنا{ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ استنكر تعالى قائلًا:{ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ} على نفسه وغيره كـ{ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ} عمومًا، والمعرض عن هديه تعالى خصوصًا{ عَجُولٗا} غير صبورًا.

الملخص: –

أكّد تعالى الإسراء بالرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى، وإيتاء موسى التوراة، وبيان قضائه تعالى لبني إسرائيل، وأكّد أنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم وأفضل.

(١٢-٢٧) الإشارة إلى خلق الليل والنهار، وأنّ الأنسان مسؤول مسؤولية تامة عمّا يصيبه من شر، والإشارة إلى الحِكَم الإلهية العامة للنجاة في الدارين.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴿١٩﴾ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾ لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ
فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا
وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ
ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿٢٧﴾

بعد أنّ أكّد تعالى أنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم، أكَّد تعالى قائلًا:{ وَجَعَلْنَا} أي وصيرنا{ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} وبرهانين على إبداع وإتقان خلقه تعالى، كقوله تعالى في سورة البلد:{ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ}﴿١٠﴾ { فَمَحَوْنَا} وأذهبنا وهج{ آيَةَ اللَّيْلِ} أي القمر{ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ} أي الشمس{ مُبْصِرَةً} وهاجةً، ثمّ بيّن تعالى الغرض من ذلك فقال أولًا:{ لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً} لأرزاقكم{ مِّن رَّبِّكُمْ} ثانيًا:{ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ

السِّنِينَ} القمرية والشمسية، ثالثًا:{ وَالْحِسَابَ} لآجال ديونكم ومعاملاتكم، رابعًا:{ وَكُلَّ شَيْءٍ} ذكرناه في القرآن{ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} واضحًا مبينًا.

خامسًا:{ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُۥ} وما يتشاءم منه{ فِي عُنُقِهِ} فهو مسؤول مسؤولية تامّة عن ذلك لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً} مفصَّلًا{ يَلْقَاهُ} يوم القيامة{ مَنشُوراً} ويقال له:{ اقْرَأْ كَتَابَكَ} لعملك، و{ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً} فـ{ مَّنِ اهْتَدَى} بالتباع هديه تعالى{ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ} ومصالحها{ وَمَن ضَلَّ} عنادًا وعصيانًا{ فَإِنَّمَا يَضِلُّ} ويزيغ{ عَلَيْهَا} سادسًا:{ وَلاَ تَزِرُ} ولا تتحمل{ وَازِرَةٌ وِزْرَ} وسيئات{ أُخْرَى} سابعًا:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ} أمَّةً في الدنيا{ حَتَّى نَبْعَثَ} لها{ رَسُولاً} بشيرًا ونذيرًا، ثامنًا:{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} بالامتثال لحكمنا وهدينا وشرعنا{ فَفَسَقُواْ فِيهَا} عصيانًا وطغيانًا{ فَحَقَّ} ووجب{ عَلَيْهَا الْقَوْلُ} والعقوبة في الدنيا{ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} تامًا كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ

رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾١٤ ثمّ قال تعالى:{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ} ليتعظوا{ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً}.

ثمّ أشار تعالى لسننه وجزاءاته قائلًا:{ مَّن كَانَ يُرِيدُ} خير الدنيا{ الْعَاجِلَةَ} وحُطامُها{ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء} و{ لِمَن نُّرِيدُ} بعدلنا ولا يظلم ربك أحدًا{ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً} ملومًا{ مَّدْحُوراً} مَقهُورًا{ وَمَنْ أَرَادَ} بسعيه{ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} بالصالحات{ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} مُوقنٌ{ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً} في الدارين لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾١٢٣ { كُلاًّ} ممن يريد الدنيا أو الآخرة{ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ} بنواياهُما ومقاصدُهما{ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ} أبدًا{ مَحْظُوراً} عن أحد، فكلُّ نفسٍ مسؤُولةً عما يترتب على ذلك من جزاء{ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} بالجزاء الحسن للمحسنين في الدنيا{ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ} وأعظم{ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}.

ثمّ أشار تعالى إلى حكمه الإلهية للنجاة في الدارين قائلًا أوّلًا:{ لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ} في الدّارَين{ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً} غير منصورا، ثانيًا:{ وَقَضَى رَبُّكَ} وشرع{ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} ثالثًا: كما{ وَ} أمر{ بِالْوَالِدَيْنِ} برًا وعطفًا و{ إِحْسَاناً} في حياتهما وبعد مماتهما{ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ} ضجرًا ولا سُئمًا{ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} تأنيب ولا تعنيفًا{ وَقُل لَّهُمَا} أبدًا ودائمًا{ قَوْلاً} حسنًا شهمًا{ كَرِيماً} رابعًا:{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ} تواضعًا ولطفًا{ مِنَ الرَّحْمَةِ} لهما{ وَقُل} داعيًا{ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} فـ{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} من خير أو شر، فـ{ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ} المنيبين التائبين{ غَفُوراً} خامسًا:{ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} من الصلة والزكاة والصدقة{ وَ} كذلك{ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} سادسًا:{ وَلاَ تُبَذِّرْ} أموالك{ تَبْذِيراً} فتقعد ملوما محسورا، فـ{ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ} إسرافًا وبذخًا{ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} منهجًا{ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً}.

الملخص: -

أشار تعالى إلى خلقه لليل والنهار، وبيّن أنّ الإنسان مسؤول مسؤولية تامة عمّا يصيبه من شر، وأشار تعالى إلى بعض حِكمه الإلهية للفوز في الدارين.

(٢٨-٤٤) بيان تتمة الحِكَم الإلهية للفوز في الدارين، والاستنكار على مزاعم الكافرين ودحض حججهم.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٣٠﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ

لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴿٤٤﴾

تابع تعالى حِكَمَهُ الإلهية للفوز في الدارين فقال سابعًا:{ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ} مبتعدًا{ ابْتِغَاء} رزقٍ و{ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ} مستأذنًا{ قَوْلاً مَّيْسُوراً} جبرًا لخواطرهما، ثامنًا:{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} بخلًا{ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} إسرافًا وتبذيرا{ فَتَقْعُدَ} بسوء تصرفك{ مَلُوماً مَّحْسُوراً} فـ{ إِنَّ رَبَّكَ} هو الذي{ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} تقتيرًا بحكمته وعدله وما ربك بظلام للعبيد{ إِنَّهُ} تعالى{ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً} تاسعًا:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ} وأدًا{ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} وفقرٍ وعِوز فـ{ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ} بتدبيرنا{ وَإِيَّاكُم} فـ{ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ} في شرائع الله تعالى{ خِطْئًا} وذنبًا{ كَبِيراً} عاشرًا:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ} ولا تدنوا من{ الزِّنَى} فـ{ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} وقبحًا{ وَسَاء} خبثًا و{ سَبِيلاً} الحادي عشر:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ} إنسٍ أو حيوان{ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} عدوانًا{ إِلاَّ بِالحَقِّ} والعدل{ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ

سُلْطَاناً} وحُجَّةً وشرعًا{ فَلاَ يُسْرِف} مُعتديًا ومُتَعديًا{ فِّي الْقَتْلِ} فـ{ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً} من الله وحُكمه وشرعه، الثاني عشر:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ} معشر الأوصياء نحو{ مَالَ الْيَتِيمِ} تبذيرًا وإسرافًا{ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} لمصلحة اليتيم{ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} وادفعوا لهم أموالهم وأشهدوا عليهم، الثالث عشر:{ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ} مع المسلم وغيره فـ{ إِنَّ الْعَهْدَ} والميثاق{ كَانَ مَسْؤُولاً} عنه يوم القيامة، الرابع عشر:{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ} للنّاس{ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ} والعدل{ الْمُسْتَقِيمِ} فـ{ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ} قصدًا وفهمًا و{ تَأْوِيلاً} الخامس عشر:{ وَلاَ تَقْفُ} شهادةً أو خبرًا بـ{ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} فـ{ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ} الإنسان{ عَنْهُ مَسْؤُولاً} السادس عشر:{ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً} خيلاءً وكبرياءً فـ{ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ} عمقًا{ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً} وشُموخًا فـ{ كُلُّ ذَلِكَ} من وصاياه تعالى و{ كَانَ سَيِّئُهُ} وقبحه وذَمُّه{ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} فـ{ ذَلِكَ} كلّه{ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} لسعادة الدارين، ثمّ ذكّر تعالى مرة أخرى بما يحبط العمل كلّه قائلًا:{ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً} مُوبخًا{ مَّدْحُوراً} مغلوبًا.

ثمّ عتب تعالى على المشركين ادعاء الملائكة بناتًا له قائلًا:{ أَفَأَصْفَاكُمْ} وأخلصكم{ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ} دون الإناث{ وَاتَّخَذَ} هو تعالى{ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَاثاً} بزعمكم فـ{ إِنَّكُمْ} إذًا{ لَتَقُولُونَ قَوْلاً} وبُهتًا وفريًا{ عَظِيماً}{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا} وبيّنا بضرب الأمثال{ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ} ويؤمنوا ويتقوا{ وَ} لكن{ مَا يَزِيدُهُمْ} أي المشركين المستكبرين{ إِلاَّ نُفُوراً} عن الإيمان والدين، فـ{ قُل} وقولوا للمشركين{ لَّوْ كَانَ} حقًا{ مَعَهُ} تعالى{ آلِهَةٌ} أخرى{ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ} متنازعين متقاتلين ليجدوا{ إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً} وطريقًا{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ} ويفترون{ عُلُوّاً} وسموًا{ كَبِيراً}{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} تعظيما وإجلالًا وتكبيرًا{ وَإِن مِّن شَىْءٍ} فيهما{ إِلاَّ} و{ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ} ويسجد له{ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ} ولا تفهمون{ تَسْبِيحَهُمْ} ولا سجودهم{ إِنَّهُ} تعالى{ كَانَ} أزلًا{ حَلِيماً} لا يعاجل عقوبةً{ غَفُوراً} لمن استغفر وتاب وأناب.

الملخص: –

أشار تعالى إلى تتمة الحِكَم الإلهية للفوز في الدارين، واستنكر مزاعم الكافرين ودحض حُجَجهم.

(٤٥-٥٧) بيان موجبات السنن في الكافرين، والأمر بقول التي أحسن، وتأكيد المفاضلة بين النبيين، وعجز آلهة المشركين، والإشادة بإخلاص الصالحين.

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٤٩﴾ قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً

﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴿٥٧﴾

يبيّن تعالى بعض موجبات إضلال المعرضين المستكبرين على هديه قائلًا:{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ} يسمعه المعاندين لله تعالى{ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً} وسترًا غير مرئيًا{ مَّسْتُوراً} لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} وأغطية{ أَن يَفْقَهُوهُ} أي لئلا يفهموه{ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} وصَمَما لئلا يصل إلى أسماعهم ويتدبروا آياته، وذلك من اللعن لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ}﴿٢٣﴾ ثمّ بيّن تعالى أسباب ذلك قائلًا:{ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ} لا تشرك به شيئًا{ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ} اعراضًا و{ نُفُوراً} أولًا، فـ{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ} ويؤمنون{ بِهِ} من كفر وشرك وإلحاد{ إِذْ} أي عندما{ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ}{ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} مع رفقائهم{ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ} لبعضهم{

إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً} مفتونًا{ مَّسْحُوراً} ثانيًا{ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ} بالسحر والجنون للحق الذي جئتهم به{ فَضَلُّواْ} بحلول اللعنة عليهم{ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} إلى الحق{ سَبِيلاً} ولا وصولا، ثالثًا:{ وَقَالُواْ} مستنكرين{ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً} بعد موتنا{ أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} ومنشورون{ خَلْقاً جَدِيداً} فـ{ قُل} وقولوا لهم:{ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً} بعد مماتكم{ أَوْ خَلْقاً} آخر{ مِّمَّا يَكْبُرُ} ويعظُم{ فِي صُدُورِكُمْ}{ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا} فـ{ قُلِ} وقولوا: يعيدكم{ الَّذِى فَطَرَكُمْ} وأنشأكم{ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ} يحركونها نكرانًا وتكذيبا{ وَيَقُولُونَ} استهزاءً{ مَتَى هُوَ}؟ فـ{ قُلْ} وقولوا:{ عَسَى أَن يَكُونَ} ذلك{ قَرِيباً} فـ{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ} مسرعين مذعنين مرغمين{ بِحَمْدِهِ} فزعًا{ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ} في الدنيا{ إِلاَّ قَلِيلاً}.

ثمّ أرشد تعالى قائلًا:{ وَقُل} وقولوا{ لِّعِبَادِى} المؤمنين{ يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} عند الجدل أو الخصومة أو الغضب فـ{ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ} ويُفسد ويُغري العداوة{ بَيْنَهُمْ} ثمّ جزم تعالى قائلًا:{ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ} مُذ خَلقِ آدم (عس){ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً} ظاهر واضحًا{ مُّبِيناً} و{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ} وبحقيقة ما أنفسكم فـ{ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ} بحسن صنيعكم ونواياكم{ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} بسوء فعالكم وخبث نواياكم{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ} ﷺ{ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً}

ليؤمنوا، ولا حفيظًا من سننه إن أساؤوا، فكل إنسان ألزمناه طائره وشُؤمه بعمله في عنقه.

ثمّ أشار تعالى إلى سابق عِلمه قبل الكتابة في أم الكتاب قائلًا:{ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِـ} كل{ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} من خَلق قبل الخلق لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ}﴿١١﴾ ثمّ أشار تعالى إلى تفاضل الأنبياء قائلًا:{ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} بسابق علمٍ وعدلٍ وحكمةٍ{ وَآتَيْنَا دَاوُودَ} كتابًا{ زَبُوراً} صافيًا متقنًا، ثم أشار تعالى إلى عجز آلهة المشركين قائلًا:{ قُلِ} وقولوا للمشركين:{ ادْعُواْ} آلهتكم{ الَّذِينَ زَعَمْتُم} وعبدتم{ مِّن دُونِهِ} تعالى ليستجيبوا لكم في شيء، أو صرف السوء عنكم{ فَـ} ستعلمون أنهم{ لاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ} ولا السوء{ عَنكُمْ} أبدًا{ وَلاَ تَحْوِيلاً} لغيركم.

ثمّ أشاد تعالى بعباده الصالحين قائلًا:{ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} الله تعالى{ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ} القربى و{ الْوَسِيلَةَ} تنافسًا لرضاه يتسابقون{ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} إلى الله تعالى{ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ} في الدنيا والآخرة{ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} في الدارين فـ{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ} مَخوفًا{ مَحْذُوراً}.

الملخص: -

بيّن تعالى موجبات السنن في الكافرين، وأمر بقول التي هي أحسن، وأكّد المفاضلة بين النبيين، وعجز آلهة المشركين، وأشاد بإخلاص الصالحين.

(٥٨-٧٠) الإشارة إلى سننه تعالى في القرى، وضرب الأمثال لحجب المعجزات، وجحود المعرضين، والتحذير من سننه تعالى، والإشارة إلى إكرام بني آدم.

وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ

وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾

يؤكد تعالى سننه قائلًا:{ وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا} في الأجل المسمى{ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً} بجحودها واستكبارها{ كَانَ ذَلِك فِي} أم{ الْكِتَابِ} مدونًا{ مَسْطُوراً} ثمّ بيّن تعالى أسباب حجب المعجزات قائلًا:{ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ} والمعجزات{ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ} من الأمم، ثمّ ضرب تعالى المثل قائلًا:{ وَ} لقد{ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ} معجزةً من صخر الجبال الذي ينحتون{ مُبْصِرَةً} بيّنةً واضحة{ فَظَلَمُواْ بِهَا}

وعقروها، ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلاَّ} تحذيرًا و{ تَخْوِيفاً} من سننا وعقوباتنا التي لا زالت قائمة{ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} علمًا وقدرةً{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ} بالإسراء والمعراج{ إِلاَّ فِتْنَةً} وامتحانًا{ لِّلنَّاسِ} ليتبيّن المؤمن من الكافر{ وَ} كذلك{ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ} المذكورة{ فِي القُرْآنِ} في قوله تعالى في سورة الصّافات:{ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ}﴿٦٨﴾ فلم تغني عنهم شيئًا{ وَنُخَوِّفُهُمْ} بالسنن ولآيات والعقوبات{ فَمَا يَزِيدُهُمْ} ذلك{ إِلاَّ طُغْيَاناً} عظيمًا{ كَبِيراً}.

ثمّ ضرب تعالى مثلًا آخر لمن يُقر بعظمة الله تعالى ووحدانيته ويَسبح في سماوات، ويؤمن بالجنّة والنار، فاستكبر ولم ينفعه عِلمُه فقال:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ} الذي{ قَالَ أَأَسْجُدُ} أنا المخلوق من النار{ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً}؟ معترضًا على تفضيل آدم (ع‌س) عليه، وقبل بالخُلُود في النار، و{ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ} مؤجلًا أجلي{ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ} لأستولِيَنَّ على{ ذُرِّيَّتَهُ} إضلالًا{ إِلاَّ قَلِيلاً}

فتوعده تعالى و{ قَالَ}:{ اذْهَبْ} مجابًا لأجلك{ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ} مُستجيبًا{ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً} سابغًا ممتدًا{ مَّوْفُوراً}{ وَاسْتَفْزِزْ} واستنهض وحفِّز{ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم} بضجيجك وصخبك و{ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} وأعوانك{ وَشَارِكْهُمْ فِى} زينة{ الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ} أكاذيب وخداع{ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ} زيفًا و{ غُرُوراً} ثمّ أيَّسه تعالى من المخلصين من عباده فقال:{ إِنَّ عِبَادِى} المخلصين وأهلَ طاعتي ومودتي{ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} ولا قدرةٌ ولا حيلةٌ{ وَكَفَى بِرَبِّكَ} على ذلك مانعًا و{ وَكِيلاً}.

ثمّ توجه تعالى للمخلصين من عبادة قائلًا:{ رَّبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى} ويسوق ويسير{ لَكُمُ الْفُلْكَ فِى الْبَحْرِ} بإبداع خلقه واتقانه{ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} ورزقه{ إِنَّهُ كَانَ} أزلًا قبل خلق الخلق{ بِكُمْ} لطيفًا{ رَحِيماً}، ثمّ عتب تعالى على جُحود المشركين بعد رؤيتهم الآيات فقال:{ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ} بالموج{ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ} عنكم ونسيتم{ مَن تَدْعُونَ} من دونه{ إِلاَّ إِيَّاهُ} تعالى{ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ} بتضرُّعكم{ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} عن هديه تعالى{ وَكَانَ الإِنْسَانُ} المعرض عن هديه تعالى جاحدًا{ كَفُوراً}، ثمّ ذكَّرهم تعالى بسننه قائلًا:{ أَفَأَمِنتُمْ} يا من جحدتم آياته{ أَن يَخْسِفَ} تعالى ناسفًا{ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ}

بجعل عاليه سافله{ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً} رميًا بالحجارة أينما كنتم{ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ} مَنفذًا ولا مُنقذًا ولا{ وَكِيلاً}{ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً} ومرة{ أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ} قاصمةً{ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ} وعصيتم{ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً} ولا معينًا ولا نصيرًا.

ثم ذكّر تعالى ببعض نِعمه على الناس قائلًا:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا} وجُدنا على{ بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ} على الأنعام{ وَ} في{ الْبَحْرِ} على السفن{ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} من البر والبحر{ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} جليًا عظيما، وما يزيد كثيرًا منهم إلّا طغيانًا كبيرًا.

الملخص: –

أشار تعالى إلى سننه في القرى، وبيّن أسباب حجب المعجزات، وضرب المثل لجحود المعرضين، وحذَّر من سننه تعالى، وأشار إلى إكرام بني آدم.

(٧١-٨٤) التحذير من يوم القيامة، والتذكير بسننه في الأمم، والأمر بلزوم الصلاة والدعاء، وتأكيد أنّ من القرآن شفاء، والإشارة إلى تعنت المعرضين.

يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الأَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ

وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴿٨٤﴾

يحذّر تعالى من يوم القيامة قائلًا:{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} أي برسولهم{ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} منهم{ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ} سرورًا{ وَلاَ يُظْلَمُونَ} شيئًا قليلًا ولا{ فَتِيلاً} أي ولا بمقدار الخيط الذي في طول شق نواة التمر{ وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ} الدنيا{ أَعْمَى} عن هدي الله تعالى بعصيانه واستكباره{ فَهُوَ فِي الأَخِرَةِ أَعْمَى} عن رحمته تعالى{ وَ} في جهنم{ أَضَلُّ سَبِيلاً} كقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا}﴿٩٧﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَإِن كَادُواْ} أي ثقيف الطائف لمّا أتوا ليُسلموا بعد فتح مكّة المكرمة{ لَيَفْتِنُونَكَ} ويصدونك{ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} من شرائع وأحكام{ لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا} وترضى لهم{ غَيْرَهُ} لشروط إسلامهم حيث قالوا: لا نحني، وكل ربا لنا على الناس فهو لنا، وكل ربا للناس فهو عنا موضوع، وحُرمة وادي وجّ كحرمة مكة وصيده، وطيره وشجره، وأن تُمَتِعنا باللات والعزى سنة، ولا نكسرها بأيدينا من غير أن نعبدها، ليعرف الناس كرامتنا عليك وفضلنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: وأما قولكم لا نحني(أي لا نصلي)

فإنه لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود، قالوا: نفعل ذلك وإن كان علينا فيه دناءة، وأما قولكم لا نكسر أصنامنا بأيدينا، فإنا سنأمر من يكسرها غيركم، ثم سكت النبي ﷺ فقالوا تُمتعنا باللات سنة، فأعرض عنهم وجعل يكره أن يقول لا فيأبون الإسلام، فقالت ثقيف للنبي ﷺ: إن كان بك ملامة العرب في كسر أصنامهم وترك أصنامنا فقل لهم: إن ربي أمرني أن أُقر اللات بأرضهم سنة، فقال عمر بن الخطاب (رلع): أحرقتم قلب النبي ﷺ بذكر اللات، أحرق الله أكبادكم، لا، ولا نِعمَة، غير أن الله عزَّ وجل لا يدع الشرك في أرضٍ يُعبد الله فيها، فإما أن تُسلموا كما يُسلم الناس وإما أن تلحقوا بأرضكم، كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان وسيرة ابن هشام، ثمّ قال تعالى:{ وَإِذاً} أي ولو أجبتهم بما أرادوا{ لاَّ تَّخَذُوكَ خَلِيلاً} وحميما{ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ} وعصمناك بالسكوت{ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ} وتميل لرأيهم{ شَيْئاً قَلِيلاً} ثمّ بيّن تعالى جزاء ذلك قائلًا:{ إِذاً} أي ولو رضيت{ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ} عذاب{ الْحَيَاةِ} الدنيا{ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} في الآخرة{ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا} وليًّا ولا معينًا ولا{ نَصِيراً} كما ورد مختصرًا في تفسير مقاتل بن سليمان.

ثم ذكّر تعالى بتأييد رسوله ﷺ يوم الأحزاب والذي كان قبل فتح مكّة المكرمة قائلًا:{ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ} بغيًا وعدوًا للتخلص منك ومن

أصحابك{ مِنَ الأَرْضِ} أي من المدينة المنورة، كقوله تعالى في سورة الإسراء عن فرعون:{... فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً﴿١٠٣﴾ { لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا} عُنوةً بجموعهم{ وَإِذاً} لأهلكناهم ف{ لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ} ومن بعدك{ إِلاَّ} شيئًا{ قَلِيلاً} فتلك{ سُنَّةَ} وعُقُوبةَ{ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا} وعقوبتنا صرفًا ولا{ تَحْوِيلاً} ثمّ أمر تعالى قائلًا:{ أَقِمِ} وأقيموا{ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ} وزوال{ الشَّمْسِ} للظهر والعصر{ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} أي للمغرب والعشاء، ثمّ خصّ تعالى صلاة الفجر قائلًا:{ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} ف{ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} من الملائكة المتعاقبين عليكم في صلاتي الفجر والعصر، ثمّ أشار إلى أهمية قيام الليل فقال:{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ} وتهجدُّوا{ بِهِ نَافِلَةً} وتطوعًا{ لَّكَ} ولهم{ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودا} في الجنان وللشفاعة لأُمتك{ وَقُل} وقولوا داعين:{ رَّبِّ أَدْخِلْنِي} في دينك{ مُدْخَلَ صِدْقٍ} وتُقى وإيمان{ وَأَخْرِجْنِي} من الدنيا{ مُخْرَجَ صِدْقٍ} وثبات{ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ} فيها{ سُلْطَاناً} دائمًا وقدرةً وقوَّة و{ نَّصِيراً}{ وَقُلْ} وقولوا مُبشِّرين{ جَاء الْحَقُّ} من الله بالقرآن العزيز{ وَزَهَقَ} وانزوى وتبدد{ الْبَاطِلُ} من كُفر وشِرك وإلحاد{ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ} متبددً{ زَهُوقاً} ثمّ أكّد

تعالى قائلًا:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء} من كل داء{ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} بينهم{ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ} ضلالًا و{ خَسَاراً}.

ثمّ أشار تعالى إلى جحود المعرضين عن هديه قائلًا:{ وَإِذَا أَنْعَمْنَا} وتفضلنا{ عَلَى الإِنسَانِ} من نعمنا التي لا تُعد ولا تحصى{ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} مستكبرًا موليًا عن هدي ربه{ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ} بسوء عمله{ كَانَ يَؤُوساً} قنوطًا{ قُلْ كُلٌّ} أي المحسن والمسيء{ يَعْمَلُ} في الدنيا{ عَلَى شَاكِلَتِهِ} وبمُعتقده{ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى} منهجًا وطريقًا و{ سَبِيلاً}.

الملخص: -

حذَّر تعالى من يوم القيامة، وذكّر بسننه في الأمم، وأمر بلزوم الصلاة والنَّفلَ والدعاء، وأكّد أنّ من القرآن شفاء، وأشار إلى تعنت المعرضين.

(٨٥-٩٨) الإشارة إلى الإعجاز في خلقه تعالى وقرآنه، ودحض حجج الكافرين، وبيان سننه تعالى في هداية المؤمنين وإضلال الكافرين.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴿٨٦﴾ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلاَّ كُفُوراً ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ﴿٩٠﴾ أَوْ
تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ﴿٩١﴾ أَوْ
تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ
يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ
عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ
النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل
لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً
رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً
وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٩٨﴾

أشار تعالى إلى عظيم وإعجاز قُدرته وعِلمه قائلًا:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ} ماهية وطبيعة{ الرُّوحِ} فـ{ قُلِ} وقولوا:{ الرُّوحُ} خلقٌ{ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} الذي أعطى كل شيءٍ خَلقَهُ ثمّ هدى{ وَمَا أُوتِيتُم} معشر الإنس والجن{ مِّن الْعِلْمِ}

والمعرفة{ إِلاَّ قَلِيلاً} لقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}﴿٢٧﴾.

ثمّ أشار تعالى لعظيم مَنِّه على الناس بحفظ القرآن كما قال تعالى في سورة الحجر:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ}﴿٩﴾ فقال:{ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} فيذهب كما ذهب كثيرٌ من كُتب الأمم السالفة، أو بنسخه بغيره كما نُسخت التوراة والإنجيل{ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ} ولا تجدوا لكم{ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً} ولا مُعِينا، ثمّ بيّن تعالى سبب تَكَفُّله بحفظ القرآن فقال:{ إِلاَّ} إنّه تعالى تكفَّل بحفظه{ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} للعالمين فـ{ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ} وعليهم{ كَبِيراً} جليلًا.

ثم أشار تعالى إلى إعجازه في تنزل القرآن إلى قيام الساعة قائلًا:{ قُل} وقولوا تحديًا للمكذِّبين:{ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِـ} كتاب{ مِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} أبدًا{ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} ونصيرًا{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا} ووضحنا{ لِلنَّاسِ فِى هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} للدلالة على صدق وحيه وليؤمنوا وليتقوا{ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ} إعراضًا ونفورًا و{ كُفُوراً}.

ثم عتب تعالى على الكفّار والمشركين طلب المعجزات، والتي لم تغني مَن قَبلهم شيئًا فقال:{ وَقَالُواْ} مشترطين أوّلًا:{ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ} وبما أرسلت به{ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا} أي لأهل مكّة{ مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً} جاريًا، غير زمزم، ثانيًا:{ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ} خاصّة بك{ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً} كثيرًا، ثالثًا:{ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً} كما أهلكت الأمم من قبل، رابعًا:{ أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلائِكَةِ} إلى الأرض عيانًا{ قَبِيلاً} خامسًا:{ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ} خاصًا بِك{ مِّن زُخْرُفٍ} سادسًا:{ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء} نهارًا جهارًا، لا كما عُرج بك ليلًا{ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ} وعروجك في السماء{ حَتَّى تُنَزِّلَ} معك{ عَلَيْنَا كِتَاباً} كاملًا غير مُنجَّما بين دفتين{ نَّقْرَؤُهُ} لِنصدق ونؤمن، فـ{ قُلْ} ردًا عليهم{ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً} بشيرًا ونذيرًا.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى} من ربهم، منكرين بعثته ﷺ{ إِلاَّ أَن قَالُواْ}:{ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً} لا ملكًا{ رَّسُولاً}! فـ{ قُل} لهم أوّلًا:{ لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَـئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً} من جنسهم، ومن الأحق أن يكون الرسول من جنسكم، و{

قُلْ} لهم:{ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} على صدقي{ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً} وبمن يصطفي للناس.

ثمّ بيّن تعالى سنن الهداية والضلال فقال:{ وَمَن يَهْدِ اللُّه} لحسن سريرته ويقينه{ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} الحق{ وَمَن يُضْلِلْ} تعالى لعصيانه واستكباره{ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ} أبدًا{ أَوْلِيَاء} يهدونهم{ مِن دُونِهِ} لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}﴿٣٠﴾ { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} مُكَبّين{ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً} جزاءً وفاقًا و{ مَّأْوَاهُمْ} ومنزلهم ومستقرهم{ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ} وفترت{ زِدْنَاهُمْ} عذابًا و{ سَعِيراً} فـ{ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم} في الآخرة{ بِأَنَّهُمْ} وبسبب أنهم{ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا} وكُتبنا ورُسلنا أولًا{ وَقَالُواْ} ثانيًا مُنكرين مُكذِّبين{ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً} وهشيمًا فتاتًا{ أَإِنَّا} حقًا{ لَمَبْعُوثُونَ} مرة أخرى{ خَلْقاً جَدِيداً} للحساب والجزاء؟

الملخص: –

أشار تعالى إلى إعجاز خلقه وقرآنه، ودحض حجج الكافرين، وبيّن سننه في هداية المؤمنين وإضلال الكافرين.

(٩٩-١١١) الإشارة إلى مطلق قدرته تعالى وجوده، وحوار موسى (عس) لفرعون وعقوبة تكذيبه، والبشارة بإيمان أولي العلم، وتنزيه ذاته العلية.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّه الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَاءِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الأخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُواْ اللَّه أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١١٠﴾ وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴿١١١﴾

أشار تعالى إلى مطلق عظمته وقدرته قائلًا:{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ} أي الكافرون بالله تعالى أو برسوله ﷺ{ أَنَّ اللَّه الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} مرّات ومرات{ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً} لخلقهم وموتهم وبعثهم{ لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ} الإيمان{ إِلاَّ كُفُوراً} ثمّ أشار تعالى إلى عظيم جوده وعطائه فقال:{ قُل} وقولوا للكافرين{ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى} من النِّعَم{ إِذاً لأَمْسَكْتُمْ} عن البذل والعطاء{ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ}{ وَكَانَ الإِنسَانُ} المعرض عن هدي ربه{ قَتُوراً} شحيحًا.

ثمّ أشار تعالى إلى معجزات موسى(ع‌س) التي لم تغني فرعون وقومه شيئا قائلًا:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} واضحات لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}﴿١٣٣﴾ وتحويل العصا ثعبانًا، وبتلاعها سحر السحرة، وإخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء، وفلق البحر{ فَاسْأَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ} عنها{ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ} جاحدًا معرضًا مستكبرًا{ إِنِّى لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً} فـ{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء}

الآيات والبراهين{ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ} ودلائل لتؤمنوا{ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ} هالكًا مدحورا{ مَثْبُوراً}{ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم} ويستأصلهم بغيًا وعدوًا{ مِّنَ الأَرْضِ} أي من مصر{ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً}{ وَقُلْنَا} أي وقضينا{ مِن بَعْدِهِ} أي من بعد وفاة موسى (ع س){ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ} أُممًا متفرقون عقوبةً ولعلهم يتوبون ويرجعون لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَقَطَّعْنَٰهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿١٦٨﴾ { فَإِذَا جَاء وَعْدُ الأخِرَةِ} أي الفساد الثاني في الأرض{ جِئْنَا بِكُمْ} يا بني إسرائيل إلى فلسطين جماعات{ لَفِيفاً} من أصقاع الأرض.

ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ وَبِالْحَقِّ} ولأجل إقامته وإحقاقه{ أَنزَلْنَاهُ} أي القرآن العزيز{ وَبِالْحَقِّ} والعدل والقسط والميزان{ نَزَلَ} ليُحكم به، وكان حقًا على الله تعالى نصره لقوله تعالى في سورة التوبة وسورة الصف:{ هُو ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ}﴿٣٣﴾ ﴿٩﴾ ولقوله تعالى في سورة الفتح:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا}﴿٢٨﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً} للمؤمنين وناصرًا للدين{ وَنَذِيراً} للكافرين وخاذلهم{

وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ} منجمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا{ لِـ} أجل أن{ تَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} وتريث وروية، لفهمه واستيعابه والعمل به، ولإقامة أحكامه في الأرض{ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً} محكمًا منضبطًا معجزًا، و{ قُلْ} وقولوا للكافرين:{ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ} لا تضرُّون الله شيئًا، فـ{ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ} من الأمم{ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} القرآن{ يَخِرُّونَ} دموعًا و{ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً} مؤمنين مصدقين موقنين{ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا} ببعثته ﷺ وقرآنه{ لَمَفْعُولاً} منصورًا{ وَيَخِرُّونَ} سجدًا{ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ} خشيةً{ وَيَزِيدُهُمْ} القرآن{ خُشُوعاً} وفي ذلك إشارة إلى نصر هذا الدين آخر الزمان لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أبي هريرة (رلع) يقول: قال رسول الله ﷺ:" والذي نفسي بيده، ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عادلًا، وإمامًا مُقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد"، ومن ثم يؤمن به (عس) أهل الكتاب قبل موته لقوله تعالى في سورة النساء:{ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا}١٥٩.

ثمّ أثبت تعالى الأسماء الحسنى لذاته العلية تكذيبًا لزعم المشركين قائلًا:{ قُلِ ادْعُواْ} وعبدوا{ اللَّه}{ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ} تعالى{ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ} رافعًا صوتك{ بِصَلاَتِكَ} ودعائك{ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} سرًا{ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ} منهجًا وسطًا و{ سَبِيلاً} مطروقًا{ وَقُلِ} وقولوا:{ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً} كما زعمت اليهود والنصارى{ وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} كما يزعم المشركون{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ} يستعان به{ وَكَبِّرْهُ} وبجله وعظمه{ تَكْبِيراً} جليلًا عظيمًا كثيرًا.

الملخص: -

أشار تعالى إلى عظيم قدرته وجوده، ومعجزات موسى(ع‌س) التي لم تغني فرعون وقومه شيئًا، وبشّر بإيمان أولي العلم من الأمم، وأمر بتنزيه ذاته العلية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكهف ترتيبها (١٨) آياتها (١١٠)

(١-١٦) بيان الغاية من تنزيل القرآن، والإشارة إلى حرصه ﷺ على هداية قومه، والتحذير من قيام الساعة، والإشارة إلى مختصر قصّة أصحاب الكهف.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴿٢﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِباً ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴿١٤﴾ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴿١٦﴾

مختصر سبب نزول سورة الكهف كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان أنّ أبا جهل أرسل رجالًا ليهود المدينة المنورة يسألهم عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ ليتبين حقيقة أمر الرسول ﷺ، فقالوا: سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فلا يعلم خبرهما إلّا نبيّ، وسلوه عن الروح، فإن أخبركم عنها بشيء فهو كذّاب فنزلت، وقد افتتح تعالى سورة الكهف بحمد ذاته العلية قائلًا:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ} على نِعمه التي لا تحصى و{ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ} ﷺ{ الْكِتَابَ} أي القرآن العزيز، ثمّ أشار إلى بعض خصائص كتابه العزيز فقال أوّلًا:{ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} ولا شططًا في شرائعه وأحكامه، ثانيًا{ قَيِّماً} مقوّمًا لِقِيَم الأفراد والأسر والمجتمعات، ثالثًا{ لِّيُنذِرَ} ويحذّر به{ بَأْساً} عصيًا{ شَدِيداً} من الكفرة والمشركين والمنافقين، ثمّ أكّد تعالى أنّ النذارة{

مِن لَّدُنْهُ} تعالى الذي له جنود السماوات والأرض، رابعًا:{ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً} في الدنيا{ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً} في الآخرة، خامسًا:{ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً} كاليهود والنصارى والمشركين{ مَّا لَهُم بِهِ} وبما يدعون ويفترون{ مِنْ عِلْمٍ} حقٍ ولا سلطان ولا دليل ولا برهان{ وَلا لِّآبَآئِهِمْ} الذين ورثوا القول منهم{ كَبُرَتْ} وعظمت{ كَلِمَةً} ضلالًا{ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}{ إِن يَقُولُونَ} جزمًا وقطعًا{ إِلا كَذِباً} وزورًا.

ثمّ أشار تعالى إلى حِرصه ﷺ على هدايتهم قائلًا:{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ} ومُجهِدٌ وباذلٌ{ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} ترجوا هدايتهم{ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ} والقرآن{ أَسَفاً} لما سيجدون من عقوبة في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ} من زروع وثمار وجبال وأنهار وأنعام وذهبٍ وفضَّة وغيرها{ زِينَةً لَّهَا} ثم بيّن تعالى الغاية من ذلك قائلًا:{ لِنَبْلُوَهُمْ} ونمتحنهم{ أَيُّهُمْ} يكونُ{ أَحْسَنُ} وأصلحُ وأتقى{ عَمَلاً} في الدنيا، ثمّ حذّر من الآخرة قائلًا:{ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا} يوم ينفخ في

الصور{ صَعِيداً} أي كلَّ ظاهرًا عاليًا شاهقًا{ جُرُزاً} قاعًا صفصفًا كقوله تعالى في سورة طه:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴿١٠٧﴾}.

ثم أشار تعالى إلى مختصر قصَّة أصحاب الكهف مؤكدًا تفريج كُرُوب المؤمنين قائلًا:{ أَمْ حَسِبْتَ} وحسبتم وظننتم{ أَنَّ} تدبير أمر{ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ} الثلاثة أصحاب الغار{ الرَّقِيمِ} الذين سدته الصخرة، ففرج تعالى عنهم بدعائهم{ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا} وبراهيننا وأدلتنا{ عَجَباً}{ إِذْ أَوَى} ولجأ{ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} هاربين من بطش قومهم{ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ} ومن عندك{ رَحْمَةً وَهَيِّئْ} ودبر{ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا} ومحنتنا{ رَشَداً}{ فَضَرَبْنَا} وحجبنا{ عَلَى} سمع{ آذَانِهِمْ}{ فِي الْكَهْفِ} فناموا{ سِنِينَ عَدَداً}{ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ} يقظين{ لِنَعْلَمَ} ونرى{ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ} والفريقين من الفتية{ أَحْصَى} عدًا{ لِمَا لَبِثُوا أَمَداً} وزمنا ودهرًا، فـ{ نَحْنُ} جلَّ وعلا{ نَقُصُّ عَلَيْكَ} وعلى أمتك{ نَبَأَهُم} وخبرهم{ بِالْحَقِّ} صدقًا ويقينًا{ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا} حقًا{ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} بسننا لقوله تعالى في سورة محمد:{ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴿١٧﴾ { وَرَبَطْنَا} تثبيتًا{ عَلَى} إيمان{ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا} يقضين{ فَقَالُوا} موقنين{ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ} ولن نعبدَ{ مِن دُونِهِ إِلَهاً} شريكًا، ولو فعلنا{

لَقَدْ قُلْنَا إِذاً} زورًا و{ شَطَطاً} ف{ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ} تعالى{ آلِهَةً} أوثانًا يعبدونها{ لَّوْلا} وهلّا{ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ} ودليل وبرهان{ بَيِّنٍ} قاطعٍ{ فَمَنْ أَظْلَمُ} ولا أظلم{ مِمَّنِ افْتَرَى} وتقوّل{ عَلَى اللَّهِ} بهتانًا{ كَذِباً}.

ثمّ أشار تعالى إلى تدبيره لتفريج مصيبتهم قائلًا:{ وَإِذِ} انكم{ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ} وتركتموهم{ وَمَا يَعْبُدُونَ} من أوثان{ إِلا اللَّهَ} متشبثين به إيمانًا{ فَأْوُوا} ولوذوا والجئوا{ إِلَى الْكَهْفِ} المعلوم لـ{ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ} ويُدبر{ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم} ومصيبتكم{ مِّرْفَقاً} ومَخرجًا.

الملخص: -

بيّن تعالى الغاية من تنزيل القرآن، وأشار إلى حرصه ﷺ على هداية قومه، وحذَّر من قيام الساعة، وأشار إلى مختصر قصّة أصحاب الكهف.

(١٧-٢٧) رعايته تعالى للفتية في الكهف، والحوار الذي دار بينهم، ومدّة مكثهم في الكهف، والأمر بتلاوة القرآن على الناس.

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ

عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا
بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن
يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴿٢٠﴾
وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ
غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ
قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاء ظَاهِراً وَلا
تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴿٢٢﴾ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ﴿٢٣﴾ إِلا أَن
يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشَداً ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا
مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴿٢٧﴾

أخبر تعالى عن رعايته لفتية أصحاب الكهف قائلًا:{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ} مرورًا{ عَن كَهْفِهِمْ} لا تدخله، حتى لا تؤذيهم{ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت} وخفت حرارتها{ تَّقْرِضُهُمْ} مطلةً عليهم{ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ} نائمون{ فِي فَجْوَةٍ} وناحيةٍ{ مِّنْهُ} فـ{ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} ولطفه ورحمته، و{ مَن يَهْدِ اللَّهُ} لصلاح دينه وسريرته{ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} الحقّ{ وَمَن يُضْلِلْ} لسوء مخبره{ فَلَن تَجِدَ لَهُ} أبدًا{ وَلِيّاً} ناصحًا{ مُّرْشِداً} وبيّن سبب ذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴿٣٠﴾ { وَتَحْسَبُهُمْ} وتظُن أنهم{ أَيْقَاظاً وَهُمْ} حقيقةً{ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ} بفطرتنا{ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} لئلا تتقرح أجسادُهم{ وَ} ترى{ كَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ} يحرسهم{ بِالْوَصِيدِ} والمرصاد{ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً} خوفًا وفزعًا{ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً} وذعرًا، فلم يجرأ أحدٌ دخول الكهف طيلة مكثهم.

ثمّ قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ} بوعدنا ورحمتنا{ بَعَثْنَاهُمْ} من سُباتهم{ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ} فريقين، فـ{ قَالَ قَايِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ} ومكثتم في الكهف{ قَالُوا} أي الفريق الأول{ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ} شيءٍ من{ يَوْمٍ} { قَالُوا} أي الآخرون{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ} حقًا{ بِمَا لَبِثْتُمْ} وبَقِيتم{ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ}

وفضّة نقودكم{ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى} وأطيب{ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ} وشيءٍ{ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ} في ذهابه ورجوعه{ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً} من أهل المدينة، فـ{ إِنَّهُمْ} يعنون مَلِكُهُم وأعوانه{ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} ويجدوكم{ يَرْجُمُوكُمْ} بالحجارة هلاكًا{ أَوْ يُعِيدُوكُمْ} عنوةً وغصبًا{ فِي مِلَّتِهِمْ}{ وَ} إن كفرتم فـ{ لَن تُفْلِحُوا} في الدنيا والآخرة{ إِذاً أَبَداً}.

{ وَكَذَلِكَ} وبتلك الوسيلة{ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ} أهل المدينة، فآمنوا بالله لمّا عَلِموا قِصتَهم و{ لِيَعْلَمُوا} أي أصحاب الكهف{ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} بتدبير نجاتهم{ وَ} ليتيقنوا{ أَنَّ السَّاعَةَ} والبعث والحساب{ لا رَيْبَ} ولا شك{ فِيهَا} و{ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} أي أهل المدينة{ فَقَالُوا} أي فريقًا منهم{ ابْنُوا عَلَيْهِم} أي على كهفهم{ بُنْيَاناً} علمًا{ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ} وكيف لبثوا دون طعام وشراب و{ قَالَ} الفريق الثاني{ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ} ونفّذوا رأيهم: لا بل{ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً} للصلاة، فالسجود أصل عند الأمم، لولا التحريف، والأدلة كثيرة في القرآن العزيز كقوله تعالى في سورة آل عمران:{ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ}﴿٤٣﴾.

و{ سَيَقُولُونَ} أي نصارى نجران، هم{ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ} سـ{ يَقُولُونَ} أي آخرون:{ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً} قذفًا{ بِالْغَيْبِ} والظن{

وَيَقُولُونَ} أي طائفة أُخرى بل{ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} فـ{ قُل} لهم{ رَّبِّي أَعْلَمُ بِـ} حقيقة{ عِدَّتِهِم} فـ{ مَّا يَعْلَمُهُمْ} حقًا{ إِلا قَلِيلٌ} من النصارى{ فَلا تُمَارِ} ولا تجادل{ فِيهِمْ} وفي أمرهم{ إِلا مِرَاء} وجدلًا{ ظَاهِراً} كما قصصنا عليك{ وَلا تَسْتَفْتِ} ولا تسأل{ فِيهِم} ولا{ مِّنْهُمْ أَحَداً}{ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً} لأخبركم كما قال ﷺ لكفّار مكّة{ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} أن يوحي إليَّ خبرهم{ وَاذْكُر رَّبَّكَ} مستغفرًا{ إِذَا نَسِيتَ}{ وَقُلْ} لهم{ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا} الذي تقولون وتخبرون{ رَشَداً} وقالت النصارى:{ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً} لم يتغير فيهم شيئًا، فـ{ قُلِ} لهم{ اللَّهُ أَعْلَمُ} منكم و{ بِمَا لَبِثُوا} فـ{ لَهُ} تعالى عِلمُ{ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} كما وردت المعاني مختصرةً في تفسير مقاتل بن سليمان{ أَبْصِرْ} الناس{ بِهِ} تعالى{ وَأَسْمِعْ}هُم، فـ{ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ} ولا نصير عند نزول العقوبة{ وَلا يُشْرِكُ} تعالى{ فِي حُكْمِهِ} وشرعه وسننه وقضائه وقدره{ أَحَداً} أبدًا{ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} على الناس{ مِن كِتَابِ رَبِّكَ} وما أوحي إليك فـ{ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} ودينه وحُكمه وقضائه{ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ} تعالى{ مُلْتَحَداً} ومانعًا يمنعك من سننا.

الملخص: -

بيَّن تعالى رعايته للفتية في الكهف، والحوار الذي دار بينهم، ومدّة مكثهم، وأمر بتلاوة القرآن على الناس ليؤمنوا به تعالى.

(٢٨-٣١) الأمر بالصبر وملازمة المؤمنين، والإعراض عن رغبات المترفين، والتحذير من عقوبتهم، وبيان جزاء المؤمنين.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِيِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴿٣١﴾

فرض الله تعالى على هذه الأمّة إقامة دينه في الأرض في قوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ

...}﴿١٣﴾ وأمر تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بتبليغ الدين للناس في قوله تعالى في سورة المائدة:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ...}﴿٦٧﴾ ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو(رلع): أن النبي ﷺ قال:" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

وقد كان رسول ﷺ حريصًا على تبليغ الدين، وإسلام أشراف القوم ليؤمن الفقراء ومواليهم، لكنّه ﷺ لا يعلم حقيقة ما في القلوب، وقد جاء عيينه بن حصين وهو من أشراف العرب يطلب من رسول الله ﷺ استكبارًا أن يكون لهم مجلسًا خاصًا بهم ليسمعوا منه ﷺ، وأن يجعل للفقراء مجلسًا آخر، ولربما خطر بباله ﷺ النظر في رأيه رجاء أسلامه، ولكن بسابق علمه تعالى بحقيقة ما في الصدور، أمر تعالى رسوله ﷺ عدم الاستجابة لما أراد، وملازمة فقراء المسلمين لصدق إيمانهم فقال:{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم} وفي صلاتهم{ بِالْغَدَاةِ} أوّل النهار لصلاة الفجر{ وَالْعَشِيِّ} أي لصلاة العصر{ يُرِيدُونَ} ويبتغون{ وَجْهَهُ} تعالى ورضاه{ وَلا تَعْدُ} ولا تتجاوز ولا تتخطى{ عَيْنَاكَ} بعيدًا{ عَنْهُمْ} كما أشار عيينة بن حصين.

ثمّ قال تعالى لرسوله ﷺ:{ تُرِيدُ} من إسلامهم{ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثمّ كشف تعالى حقيقة ما في قلب عيينة بن حصين قائلًا:{ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا} وألهينا{ قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا} وديننا وهدينا{ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} ورغبات نفسه{ وَكَانَ أَمْرُهُ} وعاقبة شأنه{ فُرُطاً} وضياعًا وخسارًا في الدارين، فسننه تعالى في أمثاله أن يصُمَّ آذانهم ويعمي أبصارهم ويجعل على قلوبهم غشاوة لئلا يؤمنوا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}۝٧ وقد وجبت عليهم الضلالة لقوله في سورة الأعراف:{ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ}۝٣٠ وحلت عليهم اللعنة لقوله تعالى في سورة محمد:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}۝٢٣.

ثمّ أمر تعالى رسوله ﷺ بإنذارهم قائلًا:{وَقُلِ} لهم إنّ{ الْحَقُّ} الذي جاءكم هو{ مِن رَّبِّكُمْ} الذي خلقكم، وخلق السماوات والأرض، وأعطى كل شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه{ فَمَن شَاء} منكم{ فَلْيُؤْمِن} لمصلحة نفسه في دنياه وآخرته لقوله تعالى في سورة

يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ { وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ} فسننه تعالى ماضيةً بشقائهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ حذّر تعالى من عاقبة الكفر قائلًا:{ إِنَّا أَعْتَدْنَا} وأعددنا وهيئنا{ لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} وخزنتها من الملائكة{ وَإِن يَسْتَغِيثُوا} من شدة ما يجدون من سعيرها ولُظاها{ يُغَاثُوا} ولكن{ بِمَاء} يغلي{ كَالْمُهْلِ} أي المذاب من النحاس، أو الحميم المنصهر{ يَشْوِى الْوُجُوهَ} من شدّة غليانه وحرّه فـ{ بِئْسَ} وخبث{ الشَّرَابُ} الدنِيء{ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً} ومنزلًا ومقرًا ومجلسًا.

ثمّ أكّد تعالى جزاء المؤمنين قائلًا:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} بالله تعالى ورسله ﷺ{ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} التي بينها تعالى في كتابه العزيز فـ{ إِنَّا} أبدًا{ لا نُضِيعُ} ولا نُخسر ولا ننقص ولا نبخس{ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} فـ{ أُوْلَئِكَ لَهُمْ} في الآخرة{ جَنَّاتُ عَدْنٍ} {... أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ ...}﴿٣٥﴾ كما قال تعالى في سورة الرعد{ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ} وجنباتها{ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ} ويُزَيَّنُون

ويُجمَّلُون{ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن} ديباجٍ حريرٍ{ سُندُسٍ} ثخينٍ{ وَ} رقِيقِهِ الـ{ إِسْتَبْرَقٍ} مُنَعَّمِين مُرفَّهِين{ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ} والكنبات والمقاعد{ نِعْمَ الثَّوَابُ} والجزاء والعقبى{ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً} ومنزلًا ومستقرًا ومأوىً.

الملخص: -

أمر تعالى بالصبر وملازمة المؤمنين، والإعراض عن رغبات المترفين، وحذّر من عقوبتهم، وبيّن جزاء المؤمنين.

(٣٢-٤٤) ضرب المثل لعقوبة الجحود في الحياة الدنيا، والإشارة إلى فضل الولاية لله تعالى.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا

إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴿٤٤﴾

ضرب تعالى المثل لسننه بعقوبة الجُحُود في الحياة الدنيا قائلًا:{ وَاضْرِبْ لَهُم} وقُصَّ عليهم{ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ} صاحبين{ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا} من رزقنا وفضلنا{ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا} محاطتان{ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا} أي الجنتين{ زَرْعاً} مثمرًا ف{ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ} بثمارها و{ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ} بإذن ربها{ مِنْهُ شَيْئاً} ثانيًا:{ وَفَجَّرْنَا} نعمةً أخرى{ خِلالَهُمَا نَهَراً} عذبًا سُقيا{ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} كثير طيب{ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} بهاءً وغرورًا{ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ} وأكثر{ نَفَراً} وولدًا، ثمّ ازداد تبجحًا{ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} كفرًا و{ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ} ولا تفنى ولا تبلى{ هَذِهِ} الجنّتان{ أَبَداً} ثم كفر الآخرة وقال:{ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ} والجزاء

والحساب{ قَايِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى} وكان ذلك حقًا{ لأَجِدَنَّ} في الآخرة{ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً} ومنزلًا.

ف{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ} مُذكرًا بِنِعَمِه تعالى{ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} نصحًا{ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ} والنّاس من قبلك{ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} أمشاجٍا{ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً}{ لَّكِنَّا} معشر المؤمنين، فإنّه{ هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً} ثم ذكّره قائلًا:{ وَلَوْلا} أي وكان الأولى{ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ} وسررت بثمارها{ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ} و{ لا قُوَّةَ} لي{ إِلا بِاللَّهِ} لكان خير لك{ إِن تَرَنِ} اليوم{ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً}{ فَعَسَى رَبِّى} إن شاء{ أَن يُؤْتِيَنِ} نِعمًا أخرى{ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ}{ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا} تعالى{ حُسْبَاناً} صاعقةً تنزل عليها{ مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ} من بعده{ صَعِيداً} مستويةً{ زَلَقاً} حصيدًا لا ثمرة فيها{ أَوْ} أن{ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً} عميقًا بعيد المنال{ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ} جلبًا ولا{ طَلَباً}.

{ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} فصارت بورًا جدبًا{ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} حسرةً وندامةً{ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا} من مالٍ وجهدٍ{ وَهِىَ} جرداء{ خَاوِيَةٌ} تمامًا{ عَلَى عُرُوشِهَا} ومَمَالِكُها{ وَيَقُولُ} ندمًا{ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً}{ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ} ولا جماعةٌ{ يَنصُرُونَهُ} لدفع ضُرِّه وما نزل به{ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ} أبدًا{

مُنتَصِراً} وإن وجد أعوانًا، فـ{ هُنَالِكَ} تتجلّى وتتضح بركة{ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} فـ{ هُوَ} تعالى{ خَيْرٌ ثَوَاباً} في الدنيا{ وَخَيْرٌ عُقْباً} في الآخرة.

الخلاصة: -

ضرب تعالى المثل لعقوبة الجحود في الحياة الدنيا، وأشار إلى فضل الولاية لله تعالى.

(٤٥-٥٦) ضرب المثل لزينة الحياة الدنيا، وتخصيص المال والبنون، وتأكيد فضل الباقيات الصالحات، واستنكار الكفر والإشراك وفَضحِ السلوك.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ﴿٥٦﴾

ضرب تعالى مثلًا لزينة الحياة الدنيا قائلًا:{ وَاضْرِبْ} وأضربوا{ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وزينتها وطيب عيشها، فهو ليس إلّا{ كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ} مطرًا{ فَاخْتَلَطَ} وانتعش{ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ} فاخضرَّ ونما وأينع وأثمر{ فَأَصْبَحَ} بعد ذلك{ هَشِيماً} باليًا حطامًا{ تَذْرُوهُ} وتبدده وتُبعثره{ الرِّيَاحُ} لا تبقي منه شيئًا{ وَكَانَ اللَّهُ} قبل خلق الخلق{ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً} قاهرًا غالبًا، و{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ} هما{ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ومتعتها، ولا بدّ من

مفارقتها{ وَ} لكن{ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} من الأعمال هي{ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً} وأجرًا وجزاءً في الدنيا{ وَخَيْرٌ} للدار الآخرة رجاءً و{ أَمَلاً}.

ثمّ ذكّر تعالى باليوم الآخرة قائلًا:{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} قاعًا صفصفًا لا عوج فيها ولا أمتًا{ وَتَرَى الأَرْضَ} صرحًا{ بَارِزَةً} ممهدةً{ وَحَشَرْنَاهُمْ} إنسهم وجنّهم ودوابهم{ فَلَمْ نُغَادِرْ} ولم نترك{ مِنْهُمْ أَحَداً}{ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ} للحساب والجزاء{ صَفّاً} صفًا قائلًا:{ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا} اليوم تاركين ما خولناكم من نعيمٍ ورا ظهوركم و{ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } عراةٍ غرلًا{بَلْ زَعَمْتُمْ} يا من كفرتم زورًا{ أَلَّن نَّجْعَلَ} أبدًا{ لَكُم مَّوْعِداً} ولا بعثًا ولا حسبًا{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ} لأعمال الخلق{ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ} المعرضين{ مُشْفِقِينَ} فزعين خائفين{ مِمَّا} سُطر{ فِيهِ}{ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا} ويا خزينا وعذابنا{ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ} أحاط بأعمالنا{ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا} ودوّنها{ وَوَجَدُوا} كل{ مَا عَمِلُوا حَاضِراً} أمام أعينهم يشهد عليهم{ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ} مثقال ذرة{ أَحَداً}.

ثمّ استنكر تعالى اتباع إبليس قائلًا:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} تشريفًا لما علَّمَهُ تعالى من أسماء{ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ} أبا متوعدًا غوايتكم و{ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} ومن نار{ فَفَسَقَ} عصيانًا وخرج{ عَنْ أَمْرِ} وطاعة{ رَبِّهِ}

فطُرِد ولُعن{ أَفَتَتَّخِذُونَهُ} في الدنيا بعد كل ذلك{ وَذُرِّيَّتَهُ} الكافرة من الجن والإنس{ أَوْلِيَاء} مرشدين ناصحين و{ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} واضح مُبين، فـ{ بِئْسَ} وخسّ وقبح{ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} وقد أمرتكم باتخاذه عدوًا لأنه يدعوكم لتكونوا من أصحاب السعير لقوله تعالى في سورة فاطر:{ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ}﴿٦﴾ فـ{ مَا أَشْهَدتُّهُمْ} وما أريتهم{ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} فأخبروكم عنه{ وَلا} حتى{ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ} وأرواحهم{ وَمَا كُنتُ} أبدًا{ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ} عن هدي وديني{ عَضُداً} وعونًا.

{ وَيَوْمَ يَقُولُ} تعالى للمشركين:{ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} كذبًا وزورًا{ فَدَعَوْهُمْ} أملًا{ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} أبدًا{ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم} حائلًا وحاجزًا و{ مَّوْبِقاً}{ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ} عيانًا بارزةً{ فَظَنُّوا} يقينًا{ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا} وواردوها{ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا} مفرًا ولا{ مَصْرِفاً} { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا} وبيّنا وفصّلنا{ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ} بيانًا شافيًا{ مِن كُلِّ مَثَلٍ} ليؤمنوا ويتقوا{ وَكَانَ الإِنسَانُ} المعرض عن هدي ربه{ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} وتفنيدًا وتكذيبًا، ثمّ استنكر تعالى قائلًا:{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى} من رُسلهم{ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَن تَأْتِيَهُمْ} وتحلّ عليهم وتنزل بهم{ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} كقوم

نوح وعاد وثمود{ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ} سابقًا{ قُبُلاً}{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ} للمؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ { وَمُنذِرِينَ} للكافرين بالشقاء في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ لا حافِظِين ولا مُوكَّلين على هداكم، ثمّ استنكر تعالى قائلًا:{ وَيُجَادِلُ} ويحاور ويناقش{ الَّذِينَ كَفَرُوا} زيفًا وزورًا وبهتانًا{ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا} ويبطلوا{ بِهِ الْحَقَّ} البَيّن والأدلة والبراهين الإلهية على عظيم قدرته وابداعه، كخلقه تعالى للسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما{ وَ} لكنَّهم{ اتَّخَذُوا آيَاتِي} ومعجزاتي ودلائلي وبراهيني{ وَمَا أُنذِرُوا} سخريةً و{ هُزُواً}.

الملخص: -

ضرب تعالى المثل لزينة الحياة الدنيا وخصَّ المال والبنون، وأكّد فضل الباقيات الصالحات، واستنكر الكفر والإشراك وفضح السلوك.

(٥٧-٧٠) الإشارة إلى أعظم الظلم وعقوبته، وإمهال الظالمين، وعزم موسى (ع‌س) على ملاقاة الخِضر للتعلم منه.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً

وَلا أَعْصِى لَكَ أَمْراً ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴿٧٠﴾

أشار تعالى إلى أمر من أعظم الظلم قائلًا:{ وَمَنْ أَظْلَمُ} أي ولا أظلم{ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِ} ومعجزاته وأدلته وبراهينه كخلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما{ فَأَعْرَضَ} وصدّ{ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} من الإثم والكفر وصِّد الناس عن الدين، ثمّ بيّن تعالى عقوبتهم في الدنيا قائلًا:{ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} وأقفالًا وأستارًا{ أَن يَفْقَهُوهُ} أي لكيلا ولا يفهموه عقوبةً لهم{ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ} يجعل تعالى فيها{ وَقْراً} وسدًا وصممًا{ وَإِن تَدْعُهُمْ} باذلًا جهدُك{ إِلَى ٱلْهُدَىٰ} والإيمان والتُّقى{ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا} كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}﴿٧﴾ ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ} لو استغفروا وتابوا{ ذُو ٱلرَّحْمَةِ} الواسعة، ومن رحمته أنّه تعالى{ لَوْ} كان{ يُؤَاخِذُهُم} ويجازيهم{ بِمَا كَسَبُوا۟} عاجلًا{ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ} والجزاء والعقوبة حالًا{ بَل} جعل تعالى{ لَّهُم مَّوْعِدٌ} وأجل مسمى لعلهم يستغفروا ويتوبوا كقوله تعالى في سورة يونس:{ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟

كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ}﴿٩٨﴾ ويوم القيامة{ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ} ملاذًا و{ مَوْبِلاً} ولا ملجأً{ وَتِلْكَ الْقُرَى} الغابرة المهلكة كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم{ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} وكفروا وجحدوا بعد إمهالهم{ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً} وأجلٌ مسمى.

ثمّ ذكّر تعالى بقصَّة موسى (ع‌س) والخضر، إذ سُئل موسى (ع‌س) من أعلم من في الأرض؟ فقال: أنا، فبيّن تعالى له أن الخضر لديه علمًا لا يعلمه هو، وأشار إلى مكان ملاقاته قائلًا:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى}(ع‌س) { لِفَتَاهُ} وغلامه{ لا أَبْرَحُ} وسأظل ماشيًا{ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} لأجد الخضر وأتعلم منه{ أَوْ أَمْضِيَ} سائرًا{ حُقُباً} ودهرًا طويلًا{ فَلَمَّا بَلَغَا} ووصلا{ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا} من سمك{ فَـ} أحيا تعالى الحوت وعاد إلى البحر، و{ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ} وطريقه{ فِي الْبَحْرِ} حيا مرةً أخرى تاركًا خلفه{ سَرَباً} { فَلَمَّا جَاوَزَا} وتخطا مجمع البحرين{ قَالَ} موسى (ع‌س){ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا} فـ{ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا} تعبًا و{ نَصَباً} فـ{ قَالَ} فتاه{ أَرَأَيْتَ} وتذكرت{ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ} عند مجمع البحرين{ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} هناك{ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ} الحوت{ سَبِيلَهُ} وطريقه{ فِي الْبَحْرِ عَجَباً} سربًا فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س){ ذَلِكَ} المكان هو{ مَا كُنَّا نَبْغِ}

ونريد ونقصد لمقابلة الخضر{ فَارْتَدَّا} راجعين{ عَلَى آثَارِهِمَا} يقصون أثرهما{ قَصَصاً}{ فَـ} لمّا وصلا{ وَجَدَا عَبْداً} صالحًا{ مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ} ورزقناه ووهبناه{ رَحْمَةً} ورأفةً{ مِنْ عِندِنَا} جزاء صلاحه، كما{ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً} من علوم الدنيا خاصًا به، أمّا موسى (ع‌س) فقد آتاه تعالى حكمًا وعلمًا لقوله تعالى في سورة القصص:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ}﴿١٤﴾ فـ{ قَالَ لَهُ مُوسَى}(ع‌س) { هَلْ أَتَّبِعُكَ} وأُصاحِبُك{ عَلَى} وشرط{ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ} فهمًا و{ رُشْداً} فـ{ قَالَ} الخضر{ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ} أبدًا{ مَعِيَ صَبْراً}{ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى} أمرٍ{ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} وبكل شأنه{ خُبْراً} ولا فهمًا، فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س) ظانًا أنه يستطيع الصبر{ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً} لكنّه (ع‌س) لم يصبر رغم قوله إن شاء الله، فقول المؤمن إن شاء الله واجب في كل شأنٍ له لقوله تعالى في سورة الكهف:{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ...}﴿٢٤﴾ فالمشيئة في كلِّ شيءٍ لله وحده، إن شاء كان، وإن لم يشأ لم يكن، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته تعالى، فاشترط الخضر و{ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي} ورافقتني{ فَلَا تَسْأَلْنِي} لم؟{ عَن شَيْءٍ} أبدًا{ حَتَّى} أنا{ أُحْدِثَ لَكَ} وأخبرك لِمَ فعلتُ{ مِنْهُ ذِكْراً}.

الملخص: -

أشـــار تعالى إلى عظيم الظلم، وإلى إمهال الظالمين، وعزم موســـى (عس) على ملاقاة الخِضر للتعلم منه.

(٧١-٨٢) إثبات الخضر لموسى (عس) أنّه لا يستطيع الصبر على ما لم يحط به خبرًا، وبيانه الحِكمة من مجريات تلك الأمور، وتأكيد أنّها إلهامًا منه تعالى.

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿٧٢﴾ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ

غَصْباً ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿٨٢﴾

بيّن تعالى أنه آتى الخضر رحمة من عنده، وعَلَّمَهُ علمًا خاصًا من علوم الدنيا، وقد تجلت تلك الرحمة والعلم في رحلتهما{ فَانطَلَقَا} سائرين{ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ} لعبور البحر{ خَرَقَهَا} ليبدوا عَطَبُها وعَطلُها فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س) معترضًا{ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ} وفعلت{ شَيْئاً إِمْراً} غريبًا نُكرًا، فذكّره و{ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ} لك من قبل{ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ} أبدًا{ مَعِيَ صَبْراً} فـ{ قَالَ} معتذرًا:{ لا تُؤَاخِذْنِي} ولا تعتب عليّ{ بِمَا نَسِيتُ} الشرط{ وَلا تُرْهِقْنِي} مشقةً وعناءً{ مِنْ أَمْرِى} الذي أرجوه من التعلم منك{ عُسْراً}{ فَانطَلَقَا} معًا{ حَتَّى إِذَا لَقِيَا} في طريقهما{ غُلاماً فَقَتَلَهُ} الخضر فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س) مستنكرًا{ أَقَتَلْتَ} ظلمًا{ نَفْساً زَكِيَّةً} طاهرةً{ بِغَيْرِ نَفْسٍ} ولا جُرمٍ ولا جريرة، ثمّ جزم موسى (ع‌س) قائلًا:{ لَّقَدْ جِئْتَ} وفعلت{ شَيْئاً} شرعًا{ نُّكْراً} فـ{ قَالَ} الخضر{ أَلَمْ أَقُل لَّكَ} من قبل{ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ} أبدًا{

مَعِيَ صَبْراً} فَفَهم موسى (ع‌س) أنّه لا يستطيع معه صبرًا و{ قَالَ} فـ{ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ} أو أمرٍ{ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي} ولا ترافقني، فـ{ قَدْ بَلَغْتَ} ووفيت{ مِن لَّدُنِّي عُذْراً} لصحبتي{ فَانطَلَقَا} يسيران{ حَتَّى إِذَا أَتَيَا} ووصلا إلى{ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا} طلبًا من{ أَهْلَهَا} طعامًا{ فَأَبَوْا} ممتنعين{ أَن يُضَيِّفُوهُمَا} بشيءٍ{ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ} ساقطًا وهدمًا{ فَأَقَامَهُ} وشيده صالحًا، فـ{ قَالَ} موسى (ع‌س){ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً} لنسد جوعنا فـ{ قَالَ} الخضر لموسى (ع‌س) فباعتراضك{ هَذَا} حان الـ{ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} وقد رأيت أنّك لن تستطع معي صبرًا لما لم تحط به خبرا، و{ سَأُنَبِّئُكَ} وأخبرك{ بِتَأْوِيلِ} وتفسير كل{ مَا لَمْ تَسْتَطِع} وتقدِر{ عَّلَيْهِ صَبْراً} فـ{ أَمَّا السَّفِينَةُ} التي خرقتُها{ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ} أنت لا تعلم خبرهم{ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} لكسب رزقهم{ فَأَرَدتُّ} عمدًا{ أَنْ أَعِيبَهَا} بعَطَبٍ رحمةً بهم{ وَكَانَ} آتٍ{ وَرَاءهُم مَّلِكٌ} يسعى بجنوده فـ{ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ} صالحةً{ غَصْباً} وظلمًا، فترك الملكُ السفينة للمساكين رزقًا{ وَأَمَّا الْغُلامُ} الذي قتُلت لم يجري عليه القلم{ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} صالحين{ فَخَشِينَا} إن يبقى حيًا و{ أَن يُرْهِقَهُمَا} مالا يطيقا{ طُغْيَاناً} عليهما{ وَكُفْراً} وجحودًا لإحسانهما وصنيعهما{ فَأَرَدْنَا} بقتله{ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً} وطهرًا{ وَأَقْرَبَ

رُحْماً} وحنانًا وعطفًا{ وَأَمَّا الْجِدَارُ} الذي أقمتُ صالحًا{ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ} مخبأً{ لَّهُمَا} لا علم لك به{ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً} خبَّئه لهما{ فَأَرَادَ رَبُّكَ} برحمته{ أَنْ} يكبرا و{ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} ورشدهما{ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا} فتلك أُمور فعلتها{ رَحْمَةً} ورشادًا{ مِّن} أمر{ رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى} ورأيي وعِلمي، فـ{ ذَلِكَ تَأْوِيلُ} وخبر{ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} وفهمًا.

أمّا العبرة من ذلك الحدث، فإنّ الله تعالى قد يهب لأحدٍ من الناس علمًا دنيويًا لا يعلمه المُرسل للناس، وقد أمر تعالى رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه في أمور الدنيا، ولو حصل المكروه كغزوة أُحد في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ}﴿١٥٩﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ كثير المشاورة لأصحابه والأخذ بآرائهم، وقد حضّ تعالى المؤمنين أن يكون أمرهم شورى بينهم في قوله تعالى في سورة الشورى:{ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ}﴿٣٨﴾.

وللمشورة عدة مميزات، منها بث روح إبداء الرأي بين المستشارين، ثانيًا، التعرف على أهل الرأي والفطنة، ثالثًا، اتاحة فرصة النقاش بين المتشاورين قبل الإقدام على الأمر، رابعًا الوصول إلى أفضل الآراء، خامسًا قطع أسباب الملامة بين الجماعة، سادسًا أشتراك أهل المشورة في تحمل المسؤولية.

الملخص: -

أثبت الخضر لموسى (عس) أنّه لا يستطيع الصبر على ما لم يحط به خبرًا، وبيّن له الحكمة من تلك الأمو، وانها كانت من إلهامه تعالى له.

(٨٣-١٠١) بيان خبر ذو القرنين، والإشارة إلى انهيار سد يأجوج ومأجوج، وأشاعتهم القتل في النّاس، والتحذير من العرض الأكبر يوم القيامة.

وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴿٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء

الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴿٨٩﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ
الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ
أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن
دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا
حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ
وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ
دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴿١٠١﴾

لفهم هذه الآيات لا بدّ من الإشارة إلى بُعد وحجم الشمس بالنسبة للأرض، وذلك أن مغرب ومطلع الشمس ذُكر في خبر ذي القرنين الذي سألت عنه قريش، فالشمس تبعد عن الأرض حوالي مائة وخمسين (١٥٠) مليون كيلومتر، وقطرها أكبر من قطر الأرض بمقدار مائة وتسعة (١٠٩)

مرات كما ورد في الموسوعة الحرة، فقال تعالى:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَن} خبر وشأن{ ذِى الْقَرْنَيْنِ} فـ{ قُلْ سَأَتْلُو} وأذكر{ عَلَيْكُم مِّنْهُ} ومن سيرته{ ذِكْراً} وخبرًا، ثم قال تعالى:{ إِنَّا} جلَّ وعلا{ مَكَّنَّا لَهُ} في مُلكه{ فِى الأَرْضِ} بتسخير كل ما يحتاجه لتعزيز ملكه{ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ} عونٍ وقوةٍ{ سَبَباً} ومدادًا، ولا يُمكن تعالى إلّا للمؤمنين في الأرض لقوله تعالى في سورة الحج:{ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ}﴿٤١﴾ ولقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾.

ثمّ قال تعالى:{ فَأَتْبَعَ} قاصدً{ سَبَباً} وأمرًا، فظَلّ ماضيًا بعزم نهارًا سعيًا لذلك الأمر{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} أي عند غروبها{ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ} عريضةٍ{ حَمِئَةٍ} شديدة السخونة{ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً} فـ{ قُلْنَا} أي سبحانه وتعالى:{ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ} هؤلاء القوم{ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً} فـ{ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ} منهم كفرًا وطغيانًا وبغيًا وتجبرًا{ فَسَوْفَ

نُعَذِّبُهُ} عقوبةً عدلًا وجزاء وفاقًا لطغيانه وبغيه{ ثُمَّ} يوم القيامة{ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ} تعالى{ عَذَاباً} رهيبًا وخزيًا أبدًا{ نُّكْراً}{ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً} منهم{ فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى} وزيادة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان{ وَسَنَقُولُ} وندبر{ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا} وحكمنا وملكنا{ يُسْراً} وجودًا{ ثُمَّ أَتْبَعَ} قاصدًا{ سَبَباً} وأمرًا آخر، وبات سائرًا بجدٍ ليلًا{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} أي عند شروقها{ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً} ولا ملاذًا، وذلك إمّا أن يكون قريبًا من القطب الشمالي صيفًا بالنسبة لدول شمال الكرة الأرضية، أو قريب من القطب الجنوبي صيفًا بالنسبة لدول شمال الكرة الأرضية{ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا} معرفةً{ بِـ} كل{ مَا لَدَيْهِ خُبْراً} ودراية{ ثُمَّ أَتْبَعَ} قاصدًا{ سَبَباً} وأمرًا ثالثًا{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} أي بين جبلين عظيمين بينهما ممر{ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا} وقبلهما{ قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ} ولا يفهمون{ قَوْلاً} فـ{ قَالُوا} شاكين{ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ} قتلًا وتنكيلًا{ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً} وأجرًا وعطاءً{ عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً} منيعًا آمنًا من شُرُرهم، فـ{ قَالَ} لهم{ مَا مَكَّنِّي فِيهِ} ووهبني ومنحني{ رَبِّي خَيْرٌ} من خَراجِكم وعطائكم{ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} من رجالكم{ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ} حاجزًا{ رَدْماً} حافظًا{ آتُونِي} وأحضروا لي{ زُبَرَ} وقطع{ الْحَدِيدِ

حَتَّى إِذَا} جعله بعضه على بعض و{ سَاوَى} ارتفاعًا{ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} أي الجبلين{ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا} أشعله و{ جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً} من نحاسٍ{ فَمَا اسْطَاعُوا} أي يأجوج ومأجوج{ أَن يَظْهَرُوهُ} ولا يَعلُوهُ صُعُودًا{ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً} ولا خرقًا، فـ{ قَالَ} لهم{ هَذَا} الردم{ رَحْمَةٌ} وهو{ مِّن} وحي{ رَّبِّي}{ فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي} في الأجل المسمى{ جَعَلَهُ دَكَّاء} مستويًا مع الأرض{ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} لا مرية ولا شك فيه{ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} قتلًا وتنكيلًا{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} فإذا هم من قبورهم ينسلون{ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً} عظيمًا رهيبًا{ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ} بربهم{ عَرْضاً} شنيعًا مُريعا مرعبًا، فهم{ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء} وعمى وضلال{ عَن ذِكْرِى} وعبادتي وديني وهدي{ وَكَانُوا} في الدنيا{ لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً} ولا نُصحًا ولا عِظةً ولا هديًا، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}۝٧.

الملخص: -

بيّن تعالى خبر ذو القرنين، وأشار إلى انهيار السدّ، وشيوع القتل بين الناس ويأجوج ومأجوج، وحذّر تعالى من العرض الأكبر في الآخرة.

(١٠٢-١١٠) تحذير المشركين، وبيان الأخسرين ومنازل المتقين، والإشارة إلى سعة عِلمه تعالى ومُلكه، وبيان سبيل السلام للفوز في الدارين.

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِى أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِئَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا ﴿١١٠﴾

في ختام سورة الكهف استنكر تعالى الإعراض عن عبادته وتولي غيره قائلًا:{ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بشركهم{ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى} من ملائكة أو إنس أو الجنّ أو أوثان{ مِن دُونِى أَوْلِيَاء} وأعوانًا ونصراء دون جزاءٍ وعقوبة،

فـ{ إِنَّا أَعْتَدْنَا} وهيئنا{ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً} ومهادًا ومصيرًا وسعيرًا خلودًا دائمًا أبدًا، و{ قُلْ} وقولوا لهم{ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ} في الحياة الدنيا والآخرة{ أَعْمَالاً} وصنيعًا وسعيًا، فهم{ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ} ومجهودهم عن هدي الله تعالى وعبادته وطاعته{ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ} ظنًا ورجاءً وأملًا{ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} وهديًا وفهمًا فـ{ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأيَاتِ} ومعجزات وأدلة وبراهين{ رَبِّهِمْ} كما{ وَ} كفروا وجحدوا{ لِقَايِهِ} تعالى يوم القيامة{ فَحَبِطَتْ} وبطل ثواب وجزاء{ أَعْمَالُهُمْ} الصالحة{ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ} شأننًا ولا رفعةً{ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ولا حظًا حسنًا ولا{ وَزْناً} يُخلصهم من النار، فـ{ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ} وحظهم ونصيبهم{ جَهَنَّمُ بِـ} سبب{ مَا كَفَرُوا} بالله تعالى{ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي} ومعجزاتي في خلقي{ وَرُسُلِي هُزُواً} وتهكمًا، ثمّ بشّر تعالى المؤمنين مؤكدًا فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} بي وبرسلي{ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بفعل ما أُمِروا به، وترك كل ما نهوا عنه فـ{ كَانَتْ لَهُمْ} منذ الأزل{ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ} وبهجتها ونعيمها{ نُزُلاً} وملاذًا ومجلسًا{ خَالِدِينَ فِيهَا} أبدًا{ لا يَبْغُونَ} ولا يطلبون ولا يرجون{ عَنْهَا} مقرًا ولا{ حِوَلاً} ولا غِيرًا.

ثم أشار تعالى إلى عظيم ما أودعه تعالى من أسرار في خلقه قائلًا:{ قُل} وقولوا للناس:{ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ} أي المحيطات السبع{ مِدَاداً} أي حبرًا{

لِّـ} كتابة وتدوين{ كَلِمَاتِ} وأسرار{ رَبِّي} في خلقه{ لَنَفِدَ} ولنَضَب وانحسر{ الْبَحْرُ} وجفَّ وتلاشى{ قَبْلَ أَن تَنفَدَ} ويُنتَهي ويُفرغ من كتابة{ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ} أضعافًا{ مَدَداً} كقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}﴿٢٧﴾.

وقد أجمل تعالى ذكر كلماته من آياته ومعجزاته وأدلته وبراهينه في خلقه في قوله تعالى في سورة النحل:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾﴿١٧﴾

ولا تزال الأبحاث دؤوبةً لا تتوقف في كل مجالات الحياة لاكتشاف أسراره تعالى في خلقه، والتي لا نهاية لها.

ثمّ أمر تعالى قائلًا:{ قُلْ} وقولوا للناس{ إِنَّمَا أَنَا} ﷺ{ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} من ربي{ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ} وربكم وخالقكم{ إِلَهٌ وَاحِدٌ} لا شريك له{ فَمَن كَانَ} منكم{ يَرْجُو} موقنًا{ لِقَاء رَبِّهِ} يوم القيامة والحساب والميزان والجزاء{ فَلْيَعْمَلْ} في الدنيا{ عَمَلاً صَالِحاً} بما أمر به، وينتهي عن كل ما نُهِي عنه{ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا} أبدًا.

الملخص: -

حذَّر تعالى الكافرين، وبيَّن الأخسرين ومنازل المتقين، وأشار تعالى إلى سعة عِلمه وأسراره في مُلكه، وبيّن سُبُل السلام للفوز في الدارين.